الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة محمد بوضياف المسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:.....

رقم التسجيل :13/MD 12/297

النقد ونقد النقد عند عبد المالك مرتاض

من خلال كتابه "في نظرية النقد"

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر

الميدان :لغة وأدب عربي فرع :أدب عربي تخصص :نقد أدبي حديث

من إعداد الطالبة : تحت إشراف الدكتورة:

لطرشي مرزاقة بوقرومة حكيمة

تاريخ المناقشة:.....

لجنة المناقشة:

1- ..... رئيسا

2- ..... مشرفا

3- ..... ممتحنا

السنة الجامعية 2014-2015

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة

مقدمة

يعد القرن العشرين بحقّ قرن النقد والمناهج النقدية،فلقد شهد الكثير من الاتجاهات والمدارس والمذاهب في مجال الدّراسات النقدية الأدبية التي أصبحت تؤطّر ما نعرفه اليوم ب"نظرية النقد" ،فهذه الأخيرة لا تمثّل اتجاها واحدا، ولا تعبّر عن مدرسة أو رؤية بعينها، و إنّما تمثّل سائر الاتجاهات بكلّ ما فيها منّ إجراءات ومبادئ بكلّ إيجابياتها وسلبياتها.ولأن النقد الأدبي اليوم لايحتاج إلى إثبات أهميته وخطره في المسيرة الأدبية والفكرية ،انبرى في السّاحة العربية المعاصرة نخبة من النقاد والدارسين في هذا المجال المعرفي ، ولعلّ من أبرزهم الجزائري "عبد الملك مرتاض"،الذي يشهد له بغزارة التأليف والكتابة المتميّزة إبداعا و نقدا.

و من هنا جاء هذا البحث الموسوم ب"النقد ونقد النقد عند عبد الملك مرتاض ".ومبررات اختيار الموضوع و دوافعه كثيرة منها :

1- كما ذكرت سابقا ، الأهمية الكبرى التي يتبوأها النقد الأدبي اليوم في الساحة الأدبية و الفكرية ،وبحكم أنه يمثل تخصصنا الدراسي أيضا .

2- الرّغبة الملّحة في تكوين زاد معرفي وعدّة نقدية تعين على بناء قواعد متينة يمكن التأسيس عليها في مستقبل الدّراسة إن شاء الله ذلك.

3- الإحساس بالنقص والقصور في فهم الدّرس النقدي وثقافة النقاد ، و منه كان التوجه إلى تناول علم و أستاذ يستضاء بتجربته و معارفه ، فكان "مرتاض "الذي شدّتني موسوعيته و لغته النقدية المتميّزة ذات الخصوصّية الجزائرية.

4- حسن اختيار مشرفتي الفاضلة لعنوان البحث وتحديده تماما وما يوافق رغبتي، و عليه كانت الموافقة مباشرة آملة من المولى عزّ و جلّ أن يعينني في تحقيق بعض ما رسمته من أهداف لهذا البحث و التي منها :

1- تكوين رؤية واسعة و متبلورة حول النقد و نظريّته ، و مدارسه ، و التعرف على جذورها و خلفياتها الفلسفية و المعرفية.

2- إماطة اللثام حول مصطلح "نقد النقد " الذي أربكني في البداية و غابت عنيّ حقيقته!

3- الوقوف عند المّراس النقدي للأستاذ "عبد الملك مرتاض" و الإنتفاع بجانب كبير من ثقافته و طريقته ، و لغته ، و مصطلحاته...

4- محاولة التأسّي بالناقد في الإفتخار بالتراث النقدي العربي القديم و التعرف على كيفية تعامله معه و توظيف معطياته ، وكذا التوليف بينه وبين الحداثة النقدية ...

5- التعرف على موقف الناقد من المدارس النقدية المعاصرة بحكم ثقافته الغربية (الفرنسية خصوصا) ...وغير ذلك

و إنطلاقا من الإشكالية التي مفادها الوقوف على رؤية "مرتاض" و منظوره للنقد و كذا لنقد النقد ، ثم الوقوف على مدى توفيقه بين التراث و الحداثة في مدوّنته الموسومة"في نظرية النقد"، و لتحقيق ذلك و كذا الوصول إلى الأهداف السالفة الذّكر ، إتبعت خطّة تشمل مقدمة و تمهيدا ، و فصلين اثنين و خاتمة.

فقد مهدت للبحث بمدخل يتناول واقع النقد العربي المعاصر ، و جانب من أزمته الراهنة ، و لأنّ ثقافة الناقد و مرجعياته النقدية أجدر بأن تسبق قراءة المدونة ، فقد خصّصت الفصل الأول لجانب من المرجعيات النقدية التراثية و الحداثية لعبد الملك مرتاض، ثم تناولت الجانب المنهجي مركزة على مسألة "التركيب المنهجي" عنده ، و كذا إشكالية "اللاّمنهج."،أمّا الفصل الثاني فهو قراءة في مدوّنة "في نظرية النقد " ؛ بدأته بلمحة مختصرة عن الكتاب ثم عمدت إلى متابعة أهمّ ما جاء في فصول الكتاب ، وما تضمّنته من رؤى ومناقشة لمرتاض في متابعته للمدارس و رصده لها ، و في المبحث الموالي لذلك عرضت لبعض مواطن التلاقي ، و التوفيق بين التراث النقدي العربي القديم و النقد الحداثي آمّا آخر ما تناولته فهو "نقد النقد" عند عبد الملك مرتاض، مصطلحا و مفهوما و وظيفة ، و كذا بعض النماذج ثم خاتمة للبحث تضمّنت بعض الملاحظات و النتائج .

و لقد حاولت جهدي استقراء الفصول و تحليلها معتمدة في ذلك المنهج الوصفي التحليلي الذي يعمد إلى وصف الظاهرة المدروسة وصفا دقيقا ، ثم تحليلها وفقا لما يخدم طبيعة الموضوع . و معتمدة على مصادر و مراجع متنوعة جلّها مؤلفات عبد الملك مرتاض منها : المدّونة المدروسة "في نظرية النقد" ، النص الأدبي من أين؟ و إلى أين؟ ، أ–ي دراسة سّميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي ، شعرية القصيدة –قصيدة القراءة (تحليل مركّب لقصيدة أشجان يمانية).. وغيرها ، أمّا لغير مرتاض فتناولت الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض، ليوسف وغليسي ، و الدّرس السّميائي المغاربي لعلي مولاي بوخاتم ... و غيرهم.

أمّا ما أشكل عليّ أثناء البحث فهو بدايته بسبب نقص التجربة و الخبرة القليلة ، ثم عامل الوقت الضّيق الذي لم يساعدني في المطالعة الجيّدة لمادة المصادر التي تعذّر اقتناؤها في بداية الأمر!..

و بعون الله ، و توجيهات مشرفتي الفاضلة الدكتورة حكيمة بوقرومة و إرشاداتها القيّمة ذللّت أهمّ الصعوبات ، و تدعّمت منهجّيتي ، فلها منّي فائق الامتنان و الشكر التقدير و العرفان .

وفي الختام أتقدّم بالشكر إلى كل من أمدّني بيد العون في إنجاز هذا البحث و الذي أرجو من المولى عزّوجلّ أن يُنتفع به كما انتفعت به شخصيا كما أرجو أن يفتح آفاقا لدراسات مستقبلية أخرى أفضل منه.

تمهيد

لا يزال الخطاب النّقدي العربي الرّاهن مضطربا ، غير مستقر ، ولا يزال " الموقف النقدي يشوبه اختلاط وتشويش ، فلا هو تطوير لتراث قديم، ولا هو تعبير عن واقع معاصر، ولا نكاد نتعرّف على ملامح عامّة،أو سّمات بارزة لنظرية عربية شاملة في النقد الأدبي، بحيث تجيء هذه النظرية نابعة من طبيعة الأدب في بلادنا دون أن نقطع صلتنا بتراثنا الماضي، ودون أن ننعزل عن العالم من حولنا ".[1]

إنّ ثقافتنا العربية بفروعها العديدة، تقف اليوم على مفترق الطرق " بما فيها حركتنا النقدية التي تتقاذفها ريّاح التقليد، إمّا للموروث والتمسّك به ، وإمّا للآخر الغربي الذي أنتج حركاته النقدية وفق حياته في فلسفته وأدبه " ، يقول شكري عياد " فالنظرية النقدية الغربية التي لم تؤسّس حتى الآن مازالت تنتظر أبناءها ليستخلصوا بوعيّ ومعرفة "[2] ، وأمّا شكري فيصل فيشير " أنّ نقدنا العربي القديم لا يزال في حاجة إلى قدر كبير من العناية به، والإنكباب على دراسته "[3]أيضا .

وفي هذا السّياق يعترف عبد الملك مرتاض في مؤلّفه الموسوم بـ: "في نظرية النقد " بوجود نقاد كبار معاصرين وغياب نقد عربي حقيقي ، ولا سواء نقد عربيّ ونقاد عرب .. إن الفكر النقدي العربي يمتلك حقّا في راهن الزّمن فريقا من النقاد المتألّقين ، لكنّهم لا يكادون يعمدون إلى التنظير العربي القُّح كسابق قدماء العرب الّذين أنشأوا نظريات نقدية رصّينة ، وكوَّنوا مدرسة نقدية أصيلة ، ظلّت تنهض بوظيفتها الفكرية والجمالية .."[4] والرأي عنده : دوام الاجتهاد بكل ما نؤتى من قدرة فكرية وعقلية في الإفادة مما نقرأ في النظريات

[1] عصام محمد الشنطي، الجمالية والواقعية في نقدنا الأدبي الحديث ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت لبنان ، ط1 ،1979م، ص10.

[2] حسين جمعة: المسبار في النقد الأدبي ،دار الفكر- دمشق ، سوريا، ط1، 1997م، ص: 9-10.

[3] رياض فاخوري: ليستيقظ الأساتذة ، دار الطليعة ، بيروت،لبنان ، ط1، 1978م، ص 16.

[4] عبد الملك مرتاض: في نظرية النقد، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر ،2005م، ص ص : 18-20.

الغربية واللّسانية والسّيمائية وكل ماله صلّة بتطوير الفكر وتعميق الرؤية وتحديث الإجراءات وتجديد معارفنا وصقلها ولكي نحاول ترسيخ كينونتنا في صورة الحاضر الذّي نعيش .[1]

ولاعتقاد البّاحث " عبد الملك مرتاض " أن : " كثيرا من النّظريات النقدية الحديثة لها جذور وأصول أو على الأقل إشارات وإرهاصات في الفكر النقدي العربي القديم، ولإيمانه" أنّه لا حقّ لأحد أن يقزّم هذا الفكر النقدي ويستهزئ به استهزاء "، تراه يطمح إلى نقد ونقّاد فاعلين ، لا نقّاد يلّمون بنظّريات المدارس الغربية ويلوكون ألسنتهم بها فذلك شأن لا يكفي – يراه مرتاض– وهو لا يعني إلّا التبعيّة الفكرية والضّحالة وعقم العبقريّة..[2]

فبرغم إحداث نقلة معرفيّة حاسمة في نقدنا العربي المعاصر، من طرف نقاد الحداثة إلّا أنّ شرخا كبيرا قد أحدثته هذه التيّارات في جملتها بين القارئ العادي والنّقد الأدبي ، بحيث أخذ النّاقد الحداثيّ غالبا يفقد قدرته على التواصل الجمالي الممتع مع متلقيه كلّما أمعن في تنميّة تقنيات التّحليل المرهفة للدّقائق النّصية ولم يستطع أن يربط بينها وبين السّياقات الخارجية الملموسة بطريقة جذّابة ومدهشة ولا يكاد ينجو من هذا الشّرك – يقول النّاقد " صلاح فضل " – سوى عدد قليل جدا من نقّاد الحداثة ، الذين ظلّوا يمارسون النقد باعتباره رسالة مهما كانت ذات صيغة علمية إلّا أنّ عليها دائما أن تثير طاقات الحسّ الجمالين والإنساني عند القرّاء .[3]

إنَّ النقد ضرورة من ضرورات الحياة، لتطورها ولتطويرها والوصول بالإنسان إلى مراتب الرّقي الفكري والأدبي .. وتصحيح الواقع الحضاري ، يقول "عبد الله الركيبي": " إنّ العناية بالنّقد تعني الاهتمام بالمستقبل ذلك أنّ الحديث عن النقد حديث عن حقيقة الحياة

[1] عبد الملك مرتاض : نظام الخطاب القرآني، دار هومة ، الجزائر ، ص23.

[2] علي مولاي بوخاتم: الدرس السميائي المغاربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2005م ، ص: 247.

[3] صلاح فضل: في النقد الأدبي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، سوريا، 2007م ، ص :108.

بمعنى من المعاني وحديث عن الإنسان وغاية الأدب والنّقد والفن هي حرفة الانسان ومعرفته وفهمه ، ولم تزدهر الحضارات سوى بالنّقد والتمحيص والبّحث عن الجديد دائما.[1]

إنّ غياب الفكر النّقدي – كما يرى البّاحث إبراهيم رماني – يعني بالضرورة غياب البنية الحضارية ، أيّ سّيادة اللاّمعقول والفوضى والتقليد[2]. فالنّقد حوار مفتوح يبحث عن الحق والحقيقة والسّعي وراء الفكر الحر الأصيل.. وبالحوار نخرج من الغياب إلى الحضور ومن الانفصال إلى التواصل ..[3]، كما أن امتلاكنا القدرة على النقد الذاتي خصوصا في حياتنا وفي أدبنا ، يجعلنا نستطيع النّهوض بأنفسنا وبإبداعنا ، أي نستطيع تغيير مجتمعنا وإنتاجنا الأدبي نحو الأفضل.[4]

إنّ طبيعة النشاط النقدي تخضع لحتمية التطور، والتفاعل مع مختلف العلوم الثقافات التي تزود النقاد بكثير من المعارف، وصقل الذّوق ، وعمق الرؤية ، خاصّة في مجال التعامل مع النّصوص والإبداعات الأدبيّة والفنّية ، هذا المجال الذي له خصوصّيته ، فكما أنّ الأدب هو التعبير الحر عن وعيّ الأمة في آمالها ومُثلها ، من وراء التصوير الصّادق لواقعها ، فيما يشّف عنه من إمكانيات أو يوحي بها ، فإن النّقد هو وعيّ الأدب الصّادق الرّشيد لدى الكتّاب والنّقاد على سواء .[5]

إنّ الأدب يستلزم النقد لا يستغني الأدب عن النّقد ، ولا النقد عن الأدب.. فتواجدهما معا، والتحامهما من شأنه أن يبعث روح الكتابة الإبداعيّة ، ويعمّق الإحساس بالجمال والذّوق الرفيعين المتألقين بل ويخلق كل ما من شأنه فاعلا في حياة المجتمعات، وجديدا يضيف إلى ميراث الإنسانية..

---

[1] عمار زعموش: النقد الادبي المعاصر في الجزائر، قضاياه واتجاهاته ، مطبوعات جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر ، ط1، 2001/2000م ، ص29.

[2] المرجع نفسه ، ص29.

[3] ابراهيم رماني : أوراق في النقد الأدبي ، دار الشهاب، باتنة ، الجزائر ، ط1، 1983م، ص: 147.

[4] ماجدة حمود: علاقة النقد بالإبداع الادبي، منشورات وزارة الثقافة ن دمشق ، سوريا، 1997م ص 10 .

[5] غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1973 ، ص : 10.

إنّ أهمية دور النقاد تكمن " في تحليل العمل الأدبي ن بهدف صقل الذّوق الأدبي للجمهور القارئ وإفساح المجال للموهبة الأدبية القادرة على العطاء وكذا الرّصد ومتابعة المستجدات وخلق مناخ فكري وأدبي ملائم فكلاً من الأديب والنّاقد يحمل على عاتقه مسؤولية خلق الآخر. [1]

ورغم الالتحام والعلاقة الحميمة ، بين الأدب والنّقد، فإنّهما يحتفظان باستقلاليتهما.. فالقول النّقدي مختلف في جوهرة عن القول الأدبي الذي يسائله ويوضّحه .[2]

إنّ دراسة النقد الأدبي تمس الأدب في حاضرة لتوجهه في مستقبله . لهذا كان لدراسة النقد المعاصر في الآداب الحيّة الكبرى أهميّة خاصّة [3]. والنّاقد العبقري كالكاتب العبقري قد يضيف جديدا ربّما يدعو من دعوة يوجّه فيها الأدب وجهة جديدة ، ويشرح الحاجة الماسّة إلى الاتجاه الجديد شرحا فنّيا وعلميّا، ويفيد فيه مما اطلع عليه من التراث الأدبي وتراث النّقد معًا .[4]

وعلى ما يبدو أنّ أزمة الخطاب الأدبي المعاصر في العالم العربي، رديفة أزمة الخطاب النقدي ، الذي يعيش اليّوم حالات الفوضى والغموض والاضطراب المنهجيّ، وقضايا الحداثة والتحديث التي جعلت الدّارس العربي يقف إزاءها موقف الارتباك والحيرة لشعوره الحّاد أنّه لم يبتدع المناهج النقدية الكثيرة الوافدة من الغرب وفكره ، والمتداولة بكل تناقضاتها ، في ساحته النقدية والأدبية ... فهو لم يسهم لا في بعثها ولا في بلورتها ؟. وإلى جانب هذا الشعور : طائفة الأسئلة الملحة المتفرعة عن ذلك. فكيف التعامل مع تزاحم هذه المناهج النقدية والأدبية.؟ وكيف السبيل إلى منهج نقدي قادر على قراءة النص بطريقة مبدعة ..؟ما السّبيل إلى " أن ينخرط في الحركة النّقدية المعاصرة دون أن يؤول ذلك إلى

[1] محمد عبد المنعم خفاجي: مدارس النقد الادبي الحديث، الدار المصرية اللبنانية ، مصر ، ط1، 1995م ، ص : 302.

[2] ماجدة حمود: علاقة النقد بالابداع الادبي، ص16.

[3] غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث ، ص : 19

[4] غنيمي هلال : المرجع نفسه ، ص 26.

الاغتراب ونفي هويتنا ؟ وهل بوسعنا متى استقام عندنا تفردنا بخصائص نوعية وانتسابنا الى تربة فطرية وثقافية عملت ظروف تاريخية متعددة وممتدة زمانيا على صياغتها وجعلها في الصورة التي هي عليها الآن أن نقدم بديلا لما يفد علينا أو ورثناه من مناهج بحيث لم يكن لنا في صنعها دور فعال؟ ومن ثمّ ما طريقنا إلى إثبات حضورنا وتجاوز مظهر التبعيّة للآخر أو للذّات البعيدة الغائبة في ثنايا التّاريخ " [1]

إنّ المثاقفة أمر لا يعيبه أحد ، ولا ينقص من مقوّمات الشّخصية القوميّة والثقافية ، فأجدادنا قد عزّزوا مبدأ المثاقفة مع الآخر فنهلوا ما لديه وطوّعوه لحساب ثقافتهم .. فتحوّلت الحضارة العربية بفعل المبعدين منهم من مرتبة التقليد الى مرتبة الإبداع وصارت مادة استلهام للآخرين عن بعد ، فالعاقل من ينتفع بما لدى الثقافات الأخرى دون ان تأخذه مظاهر الدّهشة ومن ثمّ الاستلاب. [2]

لا ينكر أحد دور المؤسسات الثقافية الاستعمارية في القرن العشرين في معركة الغزو والتأثير الثقافي ، وجعل العقل العربي مفرغا- قدر الإمكان- من مضامينه وخصائصه الثقافية والتغلغل في عمقه لتغريبه أو تدميره ، وإبعاده عن نفسه وعن واقعه ، فكان طبيعيا أن تفرض ثقافة أهمّ غاياتها " التبعيّة " لتصبح الأجيال في معاناة الفقر الثقافي والتأرجح الفكري ، مستعّدة لتلّقف ما تجود به مؤسّسات الاستعمار من ثقافة نتيجة انقطاعها عن جذورها وتراثها الحضاري .. [3]

وإذن، وفي ظلّ استجابة أغلب النّقاد والباحثين العرب للمفاهيم النقدية الغربية بكل تناقضاتها وغرابتها أحيانا ، وبخطى سريعة تحت اسم تحديث فكرنا النقدي، كانت التبعيّة وقدّمت معرفة نقدية يعوزها الانتماء إلى ماضي النقد العربي والنّتيجة تقديم أعمال مفتعلة

[1] محمد الناصر العجيمي: النقد العربي الحديث ومدارس النقد الغربية ، دار محمد علي الحامي للنشر والتوزيع، صفاقس ، تونس، ط1، 1998م، ص: 488.

[2] حسين جمعة: المسبار في النقد الأدبي، ص: 132 .

[3] مسلم الجابري : الثورة والتراث ، مجلة الأقلام بغداد ، العدد 12 ، 1978 . ص : 119.

وخالية من الأسباب المنطقية لتطبيقها على أدبنا العربي ، والمحصّلة لهذه الأعمال أنّها لا تحرك ساكنا ولا تثير اهتمام القارئ. [1]

إنّ المفترض في النّاقد أو البّاحث – يقول " سمير سعيد حجازي " – أن يجدّد ويبتكر في معالجة النصوص الأدبية ، من زوايا النّظر إليها وفي أسلوب معالجتها لا أن يحاكي ما يقوله نّقاد أو مثقّفوا الغرب فقط ، ولا يعني ذلك رفض الفكر النقدي الغربي من حيث المبدأ ولكن علينا أن نتعلّم بعض المبادئ من أجل تطويع المعرفة النقدية والقيم العلمية ، لأننا نحتاج إلى التفكير العلمي ، ولا نحتاج إلى معرفة كيف نتعلّم الفوضى في ثوب جميل ..[2]

إنّ النّقد الأدبي يتجاوز حقيقة حدود النّص/ الأدب، وإن تكن مادته الرئيسية النّص، إلى حقيقة أخرى تتمثل بضرورة الوعيّ بأن الرؤية النّقدية للنّص تتضمن في ثناياها رؤية للإنسان والعالم . ويخيل للمرء – يقول شكري عزيز ماضي – إنّ هاتين الحقيقتين تحدّدان طبيعة المفاهيم والإجراءات النّقدية التي يتطلّبها واقعنا الأدبي الثقافي ، كما قد تفرضان صورة محدّدة للتفاعل مع تراثنا النّقدي أولا ، ومع الانجازات النقدية العالمية ثانيا.

وإذا كانت الثّقافة (المنشودة) تستمد مبرّر وجودها من كونها فعالية تسهم في حلّ الإشكالات الحضارية، فإنّ هذه الحقيقة تمتّد لتشمل الفعالية النقدية، وهو ما يؤكد خطورة الوظيفة الاجتماعية للنّقد الأدبي ، ويملي في الوقت نفسه مفهوما محدّدا للحداثة النقديّة المطلوبة.[3]

وسؤال الحداثة – لا شكّ – يبسط في اللّحظة التّاريخيّة المتوتّرة التي تمثّل تعارضا بين ماض ومستقبل وبين آخر تراثي وآخر غربي ، والحداثة تنطوي على مشروع مغاير يطرح ليحلّ ما عجزت المشاريع القديمة على حلّه..

[1] سمير سعيد الحجازي: اشكالية المنهج في النقد العربي المعاصر، دار طيبة للنشر والتوزيع، مدينة نصر القاهرة، مصر ، ط1،2004 م، ص 106.

[2] المرجع نفسه ، ص 106.

[3]. شكري عزيز ماضي : من اشكاليات النقد العربي الجديد ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، لبنان ، ط1، 1997م،ص:19

إنّ سؤال الحداثة يرتدّ في نهاية المطاف إلى البحث في كيفية تجاوز وضع الاستهلاك الرّاهن إلى طور الإنتاج والإسهام في البناء الحضاري وبناء عليه فهي تصدم الوعيّ القائم لأنّها مغايرة ولأنّها تنطوي على وعي ضدي فبدون وعي لا توجد حداثة ، وعي مضاد للوعي الموجود.[1]

أمّا التراث فيبقى – دائما – مادة للتراث والانطلاق ، إن لم ننغلق عليه أو نبقى عند حدوده فهو مادة فعل وتغيير إن أحسّنا التفاعل معه ، واستوعبنا حركة الحداثة وما بعدها.[2]

وعلى هذا الصّعيد يذكر " شكري عزيز ماضي " أنّ " حركة النقد العربي الجديد لم تعترف بإنجازات النقد العربي الحديث ولم تتحاور معه أو تتواصل ، ولم تسع إلى تخطي واقعنا النقدي ، بل حاولت القفز عنه وربما نفيه ! فلم تتبع من سّياقه الخاصّ ، ولم تؤكّد كتطور طبيعي ومنطقي لتناقضاتها ومشكلاته المتعدّدة . فقد نبعت من سّياق آخر (رغم تعاملها مع بعض النصوص العربية القديمة والحديثة) وقد بدت وكأنها جديدة تماما وهذا ما جعلها تحدث انقطاعا في مسار الحركة النقدية العربية عموما ن كما لم تتواصل مع التراث النقدي القديم تواصلا جدّيا .[3]

إنّ إشكاليات الخطاب النقدي الجديد هو الخلل في مسارها ، مسألة لم تقتصر على علاقة النّقد الجديد بالنّقد الحديث والقديم ، بل امتّد الخلل إلى علاقته بالحركة الإبداعية الأدبية أولا وبجمهور القرّاء ثانيا. [4]

يقول " شكري عيّاد": بعض نقّاد هذه الأيّام يحاولون تطبيق نظريّات النقد الغربية كالبنيوية والتفكيكيّة، ولكنّ هذا النوع من النقد لا يؤدي إلى التواصل الثقافي مع الجمهور بل

---

[1] محمد الناصر العجيمي: النقد العربي الحديث ومدارس النقد العربية، ص 497 .

[2] حسين جمعة: المسبار في النقد الأدبي، ص 132 .

[3] شكري عزيز ماضي: المرجع السابق ، ص 20.

[4] المرجع نفسه ، ص 21 .

يجعل القارئ نافرا منه، وإن كنّا نعاني من صعوبة بعض النّصوص وعزلة أصحابها عن القرّاء ، فإنّ مثل هذا النقد سوف يزيد الأدباء عزلة عن عزلتهم. [1]

إنّ هاجس المنهج في الخطاب النقدي العربي على رأس الإشكالات التي يتعرض لها النقد المعاصر، فقد توزّع المشهد النقدي إلى ثلاث شعب ترسم تصورات نقاده فمنهم المتبنّي لنظريّات الغرب ن ومنهم التراثي، ومنهم الثّالث يحاول التوفيق بين كلّ ماهو عربي قديم وماهو غربي حديث ..

وفـي ظلّ هذه الممارسات والمواقف النقديـة المتشعّبـة والواقـع المنهجي أو المصطّلحي أو الأدبي المضطرب غير المنتظم أو الموّحد ، يبقى التنويه إلى خطورة الوظيفة الاجتماعية للنقد الأدبـي وإلى إثارة الحـوار والأسئلـة التي من شأنها أن تسهم في إعادة الفاعليّة والتوازن لحركة النقد العربي[2] . فما تحتاجه اليوم هو سلوك طرق العقلنة.. والجنوح نحو بناء الأطر النقدية من رؤية مميّزة ترسم أجرومية الأسئلة المعرفية التي تعتري مسيرتهـا إنّـه علينـا التفتيش عن دواخلنا ، هل نحن مؤهلون لصياغة منجز بديل عن المنجز الغربي ؟ وهل هناك خطـاب ثقافـي يدّعم توجهنـا النقدي. هل منحنا التّراث الإسلامـي الغنّي ما يستحقه من الجهد النقدي والبحثي والرؤية الفاحصّة ، أم مازال فوق الرّف ينتظر مصيره المحتوم بالتّلف والنّسيان.. [3]

وإلى هنا وبحكم بحثنا هذا الذي نتناول فيه جانبا نقديا (تنظيريا) لباحث وكاتب بارز في ساحة النّقد الجزائري، نرى أن نعرّج على جانب من واقع النقد الجزائري الحديث والرّاهن.

"إن النقد الجزائري المعاصر بقضاياه واتجاهاته المتعددة جزءًا لا يتجزأ من النقد العربي في بلاد المشرق والمغرب إنتماء وتأثرا.. وذلك منذ بداياته الجنينيّة التـي شهدها في ثلاثينات

[1] عبد السلام المسدي: الادب وخطاب النقد ، دار الكتاب ، لبنان ، ط1 ، 2004م ، ص :187.

[2] شكري عزيز ماضي: المرجع السابق، ص 8.

[3] محمد سالم سعد الله: مدخل إلى نظرية النقد المعرفي المعاصر، عالم الكتب الحديث ، إربد- الأردن، ط1، 2013م، ص:298.

القرن الماضي ارتكازا على النقد العربي في المشرق ، وانطلاقا من نمو وتطور الحركة الأدبية شيئا فشيئا إبّان الاحتلال الفرنسي وسيطرته القاسّية التيّ قضّت على الإمكانيّات،وخنقت الحرّيات وقطعت جسور التواصل بين الأشقاء العرب ".[1]

وعليه كانت المحاولات الأولى مقتضبة يعوزها التصّور النظّري ، والإطار المنهجي. ومع الاستقلال والفترة التي تلته بدأت التجربة النقديّة تنهض من جديد ، وبدأت تباشير دراسة النّص الأدبي بروح منهجية تتطور شيئا فشيئا غير أنّها بعد ذلك ظلّت ركاما متناثرا، تعوزه القراءة اللّاحقة التي تلّم شتاته وتقولبه ضمن الإطار الشّامل لمناهج النقد الأدبي ونظريّاته، فكان لا يتجاوز طقوس القراءة الأكاديمية النمطيّة التجميعيّة الجامدة..

وفي أواخر الثمانينات – من القرن العشرين– بدأ الخطاب النقدي الجزائري يعرف تحوّلات في مساره وفي تعامله مع النّص الأدبي وذلك من أجل تجاوز المناهج النقديّة السّياقية إلى المناهج الحداثية التي بدأت تجتاح العالم العربّي وخاصّة المغرب العربيّ . فتبنّت نخبة من المثقفين الجامعيين مقولات النّقد النّسقيّ من أمثال : (عبد الملك مرتاض، عبد الحليم بورايو، رشيد بن مالك، سعيد بوطاجين، لخضر جمعي، يوسف أحمد، عبد القادر فيدوح..) .[2]

" فقد أسّست هذه النّخبة المشهد الحداثي في الخطاب النقدي الجزائري، وحاولت العمل جاهدة على تمثّل المناهج النسقية ، والعمل على تطبيقها على النصوص الإبداعيّة ، إلّا أنّ صعوبتها وغموض مصطلحاتها حال دون تحقيق ما كانوا يأملون فيه. وانحصرت أعمالهم في التجربة والتّنظير وقليل من التطبيقات." [3]

---

[1] عمار بن زايد: النقد الادبي الجزائري الحديث ، المؤسسة الوطنية للكتاب، وحدة الرغاية الجزائري ، 1990م،ص:08.

[2] وذناني بوداود، " خطاب التأسيس السيميائي في النقد الجزائري المعاصر (مقاربة في بعض أعمال يوسف أحمد) " أشغال الملتقى الدولي الثالث في تحليل الخطاب ، مجلة الأثر – جامعة قاصدي مرباح- ورقلة ، الجزائر ،ع11 ، ص 1 -WWW.UNIV .OURGLA.DZ/UNDEX-PHP/FR

[3] المرجع نفسه ، ص: 3.

وبرغم استشعار النقاد صعوبة الخطاب النقدي والمنهجيّ- خاصّة السّيميائي- فقد ساهمت جهودهم في تأسيس وعيّ نقدي جديد لفت الانتباه إلى أهمية تلك المناهج في قراءة النصوص الإبداعية وتحليلها.كما أنّها لعبت دورا كبيرا في تحريك المشهد النقدي في الجزائر.

وإذا كان الخطاب النقدي هو فعالية قرائية وكيان من الفكر والمعرفة قائم بذاته يعمل على محاورة النّصوص الإبداعية فإنّ ذلك يقتضي من إلى يقوم به أن يحمل زادا معرفيا علميا [1]. وهو ما نقف عليه في فصلنا القادم لدى الناقد الباحث " عبد الملك مرتاض " في جانب من تجربته الرّائدة في النقد الأدبيّ ومجالـه النظري..

[1] وذناني بوداود ،المرجع السابق، ص 10.

الفصل الأول

المرجعيّات النقديّة للباحث " عبد الملك مرتاض "

مدخل:

أولا:- المرجعيات التراثية:

أ. القرآن الكريم.

ب. التراث الأدبي والفلكلوري.

ت. النقاد والبلاغيين العرب القدامى.

ثانيا:- المرجعيات الحداثية:

ثالثا:- التركيب المنهجي وإشكالية " اللّامنهج" عند " مرتاض " .

أ. المنهج النّقدي والتركيب المنهجيّ.

ب.إشكاليّة " اللّامنهج"

إنّ مطالعة أعمال الناقد والكاتب " عبد الملك مرتاض " وقراءة مؤلفاته الغزيرة تعكس – لا محالة– شدّة تعلق هذا البـاحث الجزائري بتراثه العربـي الإسلامي رغم جلاء ثقافته الغربية والحداثية .. فقد كان موروثه العربـي دائـم الحضور ببصماته وملامحه الأدبية والنقدية في جلّ كتاباته ودراساته التطبيقية..

وممّا لا شّك فيه أنّ هذا التعلّق يعود إلى تشبّع البّاحث بالثقافة العربيـة الإسلامية وتشرّبه لها من مختلف ينابيعها المعطاءة منذ صغره .. فلقد أفاد " عبد الملك مرتاض " حفظه المبكّر للقرآن الكريم كما أسعفه تكوينه ودراسته بالمغرب وكذا أخذه من كبار الأساتذة أمثال " حسن ظاظا " وأمجد الطرابلسي " و"محمدالبهبيتي" وغيرهم..

قرأ " عبد الملك مرتاض " وتمتّع بروائع الأدب العربي القديـم كما أفاد أيضا من قراءات لكتّاب معاصرين تتّصل كتاباتهم بالتراث وإشراقاته من أمثال الرافعي " ، " المنفلوطي " و" محمد البشير الإبراهيمي " وغيرهم كثير.[1]

وفي فرنسا وجامعتها " السّربون" دعّمت دراسة " عبد الملك مرتاض " ثقافته الحداثية في مجال النقد الأدبي ومناهجه ، فأفاد كثيرا من خلال الاحتكاك ببعض الأساتذة والأكاديميين ومن خلال الاطـلاع علـى المؤلفات والفنـون والآداب ومختلف العطاءات الفكرية ، والنقديّة المعاصرة.

وبتعدّد الرّوافد الثقافية وغناها ، بات " عبد الملك مرتاض " ناقدا وكاتبا موسوعيا ، تزيد مؤلفاته عن الرقم أربعين، أغنت المكتبة العربية والجزائرية بالكثير ، تعامل من خلالها مع الثقافة الغربية ومناهجها ببصيرة وذوق أصيل ، كما لم يستنكف عن توظيف واستحضار نصوص التراث العريق...

لقد كان للثقافة الأجنبية الحداثية دورها الكبير في مسار " مرتاض " النقدي لكن مرجعية التراث الأدبي والنّقدي العربيين، كان لها حصة الأسد في توجيه هذا المسار ، وكذا في فكره المجدِّد المحافظ.

[1] ينظر: على مولاي بوخاتم، الدرس السميائي المغاربي ص 250.

وفيما يلي ، نعرض لجانب من المرجعيات التراثية ، ولقد آثرنا أن نبدأ بكتاب الله الكريم، لفضله السّابق وإضاءته الابتدائية والمتواصلة في فكر الناقد ، ثم نعرض بعده لجانب من التراث الأدبي والنقدي.

أولا:المرجعيات التراثية للناقد عبد الملك مرتاض:

أ. القرآن الكريم:

كان للبيئة الدينية التي ولد فيها عبد الملك مرتاض الأثر البالغ والفضل الكبير في تشّبعه بالثقافة العربية الإسلامية...، فقد حفظ القرآن الكريم كلام الله المعجز في ألفاظه ومعانيه في "سن مبكرة في كتّاب والده الذي كان فقيه القرية"[1]، وأدرك الكثير من أحكامه وتوجيهاته الإلهية . يقول مرتاض " والحمد لله وحده أن حفظت القرآن وختمته إحدى عشرة مرة ، ومادمت والحمد لله وحده هذذت مقادير صالحة من المقامات والرسائل والخطب وأحاديث الإعراب،فقصائد الفحول ومقطعات الارجاز " [2]

ويقول عن طبيعة الصّلة الرّوحية بكتاب الله : " وإنّ هذا القرآن لتربطني به صّلة روحية حميمة منذ صباي المبكر حيث كان أول ما حفظت فأمعنت في ختمه إحدى عشرة مرة ، مسطورا على لوح الخشب . ومدبّجا بقلم القصب ، وبحجر الصمغ . وبالقعود على حرّالأرض ، وبعدم الطّمع في الحصير ..وبله التفكير في المقعد الوثير، فكنت أكرّره كل غروب إلى ما بعد العشاء ، وبالإقعاء فوق البردعة ، أو على " بسيطتها " المصنوعة من الحلفاء الخشنة أو على وجه الأرض الباردة السّاردة " [3]

وبإمعان النّظر في لغة هذا النص (الاعتراف) نلاحظ مدى تجلّي التراث ، من لفظ عربي سهل المخرج ، أصيل صقيل صادق التعبير ، ومتين متانة اللفظ القرآني العظيم، الذي أصبح الدّعامة المسعفة للغة الدكتورعبد الملك مرتاض والمفتاح الذي مكّنه من فهم أسرار اللغة العربية ، وإضافة إلى تكُّمنه من أساليب المقامات العربية وجملها المسجوعة الموجزة.

---

[1] يوسف وغليسي: الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض ، إصدارات رابطة إبداع الثقافية ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية- الجزائر- ،2002م، ص 129.

[2] علي مولاي بوخاتم: الدرس السمائي المغاربي، ص 248.

[3] عبد الملك مرتاض: نظام الخطاب القرآني، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005م ، ص: 18-20.

يقول الدكتور" عبد الملك مرتاض " في استهلاله دراسةً في سورة " الرحمان ":" القرآن: هذا البحر الزّاخر.وهذا النّور الغامر..القرآن : هذا النظم الرطيب وهذا النسيج القشيب.. فما أعظم هذا القرآن وما أروع هذي " الرحمان ":" فبأي آلاء ربكما تكذبان" ؟"[1] لقد ولع " عبد الملك مرتاض " بتذوق الجمال الطافح للنص القرآني العظيم، ومذ كان طالبا بجامعة الرّباط المغربية في مطلع الأعوام الستّين من القرن العشرين، وكان للمفكر الإسلامي المرحوم **نجيب محمد البهبيتي** الفضل الكبير في تفتيح قلبه وقلوب الطلاب على تذوق معاني القرآن وتحليلها إرتجالا والوقوف على روعة السورة القرآنية وجمال نظمها " . [2]

وحسب الناقد " عبد الملك مرتاض " : "لا تكتمل شخصية الكاتب – المسلم– الحق إلّا إذا خاض في المسألة الدينية وفي المسألة الفلسفية ، وقد يكون من القصور الفكري التهرب من هذين المجالين، وكان هذا في سياق تطبيقه لمنهج نقدي غربي على نّص قرآني مصرحا " أن الزهد في حضارة الغرب ضرب من المكابرة وسقوط في العاميّة... فكما أن الغربيين لم يترددوا في الإفادة من الحضارة الإسلامية .. دون ان يكون ذلك عقدة حضارية في سلوكهم فيجب أن لا نضع أمام شبابنا هذه العقدة الحضارية .. " .[3]

ومما سبق يبدو جليا الذوق والحس الدّيني المتطور للناقد الدكتور " عبد الملك مرتاض" ويبدو فكرة النقدي المتفتح الواعي بالواقع الثقافي والحضاري الذي يفرض استثمار معارف الآخر،واقتباس تجاربه دون الذوبان في هوّيته ، شأنه في ذلك الإفادة والإضافة ، كما دأب على ذلك قدماؤنا وقدماء الغرب أنفسهم إبّان أوج حضارة العرب المسلمين..

[1] عبد الملك مرتاض نظام الخطاب القرآني ،ص 06

[2] المرجع نفسه، ص : 11.

[3] المرجع نفسه . ص ص : 10-24.

ب- الموروث الأدبي والفلكلوري :

ب/ 1 - فن المقامات العربية:

إنّ دافع التراث عند " عبد الملك مرتاض " وشدّة تعلقه وتأثره به، حمله أن يختار موضوع أطروحته في بداية المشوار النقدي ،" فن المقامات في الأدب العربي " لنيل درجة الدكتوراه من الطور الثالث التي أبدى من خلالها تأثره البالغ بالتراث العربي بكل صنوفه وأشكاله. [1] لقد تشرّبها متمتعا بها وبسحر لغتها ومعانيها ،إلى درجة – تبدو – منطبعة في لغته الأدبية الإبداعية وكذا خطاباته النقدية ، فلقد بحث تطوّر هذا الفن المقاماتي في الأدب العربي على« إمتداد عشرة قرون كاملة بتقصي كل ما تسير له من نماذج " مقامية " عبر تسلسلها التاريخين بدءًا بالأصول الأولى لهذا الفن (تطور التسول إلى كدية، أحاديث الجاحظ، وابن دريد ،مقامات الزهاد..) وانطلاقا من مقامات البديع ووصولا الى " مناجاة مبتورة " و"سجع الكهان " للبشير الإبراهيمي، مرورا بمقامات كتّاب لا حصر لها .[2]

وسنأخذ مثالا لكلمة افتتاحية له بقسنطينة على هامش تكريمه بجامعتها تعكس أسلوبه السردي وإبداعه البليغ حتى نقف على مدى تأثره الشديد وحتى تمكنه من التعبير بالأسلوب المقاماتي ، يقول ".. أأنا حقا ذاك الرجل ذو كان يساق من حوله الثّناء النقيّ في تيك المجالس الفاخرة ، ويكال له المديح الزّكي في تا لك المآقط العاطرة؟ أم أنّ الحبّ الذي كثيرا ما يعمي ويصّم؟ فكنت، وأنتم تثنون علي ، وإيّاي تقرّظون، أزوّر حديثا في ضمير ذاتي فأناجي نفسي واقول : قوم أحبوني ،أحبهم الله فغالوا في حبّي حتى تمثلوني أنّي حقا على شيء من العلم وما أنا إلا مجرّد متعلّم لا يني يسلك سبيله إلى رياض المعرفة ليحاول رفَّ نظرياتها رفَّ الغزال ورق الآراك.. فما أنا بالرَّجل كلّ الرجل الذي كنتم تظنون أيُّها الأحبّة

[1] ينتظر: عبد الملك مرتاض : فن المقامات في الأدب العربي ، الدار التونسية للنشر – المؤسسة الوطنية للكتاب – تونس ، الجزائر ، ط2، 1988 ص 538 .

[2] يوسف وغليسي: الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض ، ص 40.

الأكارم.. فشهامتكم وحدها هي التي أغرتكم بأن تظنوني ذلك التظّني وما أنا به جدير، فإن أنا إلا شيخ عات عاس ، لولا حبكم لكان طواني اليأس... "[1]

إنّ فن المقامات الحريرية خصوصا يعتبر عند " عبد الملك مرتاض " ملهما للفنانين والرسّامين ومصدرا للوحات تعد من عيون الفن الإسلامي الأصيل..، كما أنّ للمقامات آثارًا" خصبة "و"جليلة "على الأدب العربي في المرتبة الأولى ، ثم على الآداب الإنسانية الأخرى بوجه عام، بل إنّها قد جاوزت كل ذلك إلى الفنون الجميلة منها كفن التصوير" [2]

وما يمكن أن نقوله مما سبق أن المقامات " العربية " جنس أدبي يصقل اللغة ويشحذ الذوق الأدبي والنقدي ، وهي فن راق وخالد خلود أعلامه وأدبائه في ماضينا وحاضرنا.

ب/2- الموروث الفلكلوري (ألف ليلة وليلة) :

من أهم مصادر تراثنا الفلكلوري العربي ألف ليلة وليلة ، والسير الشعبية ، كسيرة بني هلال وعنترة وسيف ذي يزن وغيرها، إضافة إلى " كليلة ودمنة " . لكن أهمّ هذه المصادر ألف ليلة وليلة الغنية بالشخصيات ذات الدلالات الثرية.. ، هذا الأثر الفني الرائع اكتشف المستشرقون الغربيون منذ مطالع القرن الثامن عشر ، وأولوه الكثير من اهتماماتهم وعنايتهم، وكان أهم ما فتن الأدباء الأوروبيين في " ألف ليلة وليلة " خيالها الملّحق وشخصياتها المليئة بالسحر والجاذبية والبراعة الفائقة في إثارة اهتمام القارئ وتشوقه .. وأما دراسات المستشرقين والعلماء فانصرفت في البحث عن مصدر هذا الكتاب الذي استحوذ على الألباب فمنهم من رأى أنّ أصل الكتاب فارسي ومنهم من رأى بأصله العربي.. وتعددت الأبحاث والقضايا وإن ظلَّ أصل الكتاب هو القضية الأساسية[3]

وبما أن " ألف ليلة وليلة " تنتمي إلى السرود العجائبية والكلام في تاريخ الليالي فيها أقرب إلى " رجم بالغيب في أكثر الأحيان " كما شبهتها الباحثة الناقدة " سهير القلماوي "

[1] عبد الملك مرتاض: مقامة قسنطينة، مجلة السرديات ، مخبر السرد العربي، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر ، العدد (02) ، 2008م ص10

[2] عبد الملك مرتاض : فن المقامات في الادب العربين ص 538.

[3] علي عشري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي – مدينة نصر ، القاهرة ، 1997م،ص154

فقد اتخذ اتجاه الباحثين والمستشرقين مسارا آخر في تحقيق الكتاب، وفقا للمناهج الفلكلورية واللغوية والبنائية لتحقيق بعض النتائج التي لم يتوصلوا إليها من قبل ، واشتغل بعض الباحثين العرب المحدثين " بنظرية الطبقات على غرار ما فعل المستشرقون وحاولوا البحث عن أصول الكتاب ومن بينهم كان بحث الدكتور عبد الملك مرتاض .[1]

لقد تناول حكاية " حمال بغداد " وهي إحدى حكايات ألف ليلة وليلة التي تمتد من الليلة التاسعة إلى الليلة التاسعة عاشرة حيث عرض النص على العدسة المجهرية كي تتسنى له رؤيته من جميع أقطاره وشتى مستوياته فكان أن شرحه من حيث الحدث والشخصيات والحيّز والزمن وتقنية السرد وبنية الخطاب والمعجم الفني ، ولقد أفضى المنهج المتّبع بالناقد إلى جملة من النتائج الباهرة التي تخص هذا الأثر التراثي العريق ، فلقد قرأ هذا النص قراءة منهجية مغايرة انتهت إلى إعادة النظر في كثير من المسلمات التي قررها باحثون سابقون – مستشرقين كانوا أومستعربين– بشأن هذا الأثر المظلوم ، ومن ذلك تسليمهم بأن (ألف ليلة وليلة) هي كرنفال فلكلوري تلتقي فيه ثقافات العرب والهند والفرس وشعوب لا حصر لها ، وأنها نصوص لقيطة لا أب شرعيا لها بل اشترك في تأليفها مؤلفون كثر من كل حدب وصوب في أزمنة مختلفة متباينة تأليفا وجمعا وترجمة .

يقول الباحث يوسف وغليسي: لقد قلب الدكتور"عبد الملك مرتاض" هذه المسلمات رأسا علىعقب مؤكدا الطابع العربي الخالص لهذه الحكايات من حيث أن مؤلفها واحد على العموم بغدادي الدار رشيدي العهد عربي الثقافة وطني النزعة) كأنه كان مندسا في بعض قصور"هارون الرشيد" حتى كأن هذه الحكايات إنما كانت ضربا من الدّعاية لشخصية "هارون الرشيد" وحلمه وكرمه ، وتواضعه وعدله، وظرفه وأدبه ، ومعظم الحكايات تنطلق من مدينة بغداد او تنتهي اليها .[2]

[1] ضياء الكعبي: السرد العربي القديم (الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل) ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الأردن،ط1،2005م، صص : 75- 84 .

[2] يوسف وغليسي: الخطاب النقدي عند الملك مرتاض ، ص: 66.

هذا وإضافة إلى دراسة "عبد الملك مرتاض" في "ألف ليلة وليلة " نجد له عدّة قراءات ودراسات للآثار العربية منها ما يتعلق بالشعر كبحثه في قصائد المعلقات ، وأسرارها ومنها ما يتعلق بالنثر الأدبي كدراسته لنص " أبي حيان التوحيدي " ، الذي حاول فيه أن يبين للطلاب الجامعيين خصوصا " أن عالم النص الأدبي عالم ضخم بدون حدود وأنّ دراسة نص قصير قد تستغرق سفرا ضخما دون أن يوفيها مع ذلك ، وعلى الرغم من ذلك حقها من الدراسة الكاملة او المتدانية من الكمال ". [1]

وقد خاض "عبد الملك مرتاض " في التراث الشعبي الجزائري القديم ودرس جانبا مهما فيه بحكم علاقته الوطيدة بالأمثال العربية القديمة وقربه منها .

ج- النقاد والبلاغيون العرب القدامى

فضلا عن القراءات الأدبية والإعرابية للناقد عبد الملك مرتاض – ومنذ صباه – استمر الحال في تكوينه التراثي مطلعًا على المسائل والشروحات لمختلف علماء اللغة والفقهاء والبلاغيين، الذين كان لهم معظم الأثر في تكوينه ، ولعل أبرزهم " ابن سلام الجمحي " في " طبقات فحول الشعراء " ، والآمدي في " الموازنة بين أبي تمام والبحتري " وابن قتيبة في " الشعر والشعراء " ، وقدامة ابن جعفر في " نقد الشعر" ، وابن رشيق القيرواني في " العمدة " ، وابن طباطبا في " عيار الشعر" والقرطاجني في " منهاج البلغاء وسراج الأدباء " .

يقول عبد الملك مرتاض مؤكدا إفادته من الكتب البلاغية " إنّ العرب هم على شيء عظيم وإنّهم كانوا يحومون حول كثير من النظريات والأفكال الكبرى للحداثة الغربية ولا سيّما "عبد القاهر الجرجاني" و"عبد العزيز الجرجاني" و"أبن جني" و"ابن قتيبة" و"ابن خلدون" .[2]

أمّا موقفه من التراث النقدي العربي فهو تأكيده على عظمة وزخم هذا التراث الذي واكب زخم النهضة الإبداعية الأدبية السخية في مختلف الأجناس التي عرفتها الآداب الإنسانية الكبرى.

---

[1] عبد الملك مرتاض: النص الأدبي من أين؟ وإلى أين؟ ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، 1983م، ص :5.

[2] علي مولاي بوخاتم : الدرس السيميائي المغاربي، ص: 249.

لقد استطاعت النهضة النقدية أن ترقى بالنظرية النقدية إلى مستوى رفيع بفضل ما قيّض لها من رجالات جهابذة ساهموا في إثراء التراث النقدي الإنساني .[1]

يقول "مرتاض " لقد كنا ألفينا قدماء العرب أنشأوا نظريات نقدية رصينة تتعلق بعمودية الشعر ونظرية اللفظ والمعنى ، كما نقرأ ذلك لأبي الحسن محمد بن احمد بن طباطبا العلوي في كتابه " عيار الشعر" والمرزوقي في مقدمة شرح كتاب حماسة ابي تمام ومسألة القديم والجديد كما أثارها ابن قتيبة في مقدمة كتابه "الشعر والشعراء" ، ومسألة النحل وتصنيف الشعراء بناء على مستواهم الفني ، كما تمثّلها ابن سلام الجمعي في كتابه " طبقات فحول الشعراء " وتقسيمات البديعة التي نظر بها قدامة ابن جعفر للشعر في " نقد الشعر " ومسألة السرقات الأدبية كما عالجها "علي بن عبد العزيز الجرجاني" ، ومسألة النظم كما نظّر لها عبد القادر الجرجاني ، ومسألة المعاني والأفكار في القياس إلى الألفاظ كما أومأ إليها ابو عثمان الجاحظ في كتابه " الحيوان " .ونظرية التوصيل كما عالجها في كتابه " البيان والتبيين " ، ومسألة الخيال والتخيل وماهية المعاني والمحاكاة، وتناسب الإيقاع مع الموضوع المعالج في الشعر وغيرها كما تناولها أبو الحسن عازم القرطاجني في كتاب " منهاج البلغاء وسراج الأدباء " وغير هؤلاء كثير[2] .

يقول عبد الملك مرتاض أن "اليوم علينا أن نتساءل عن إمكان توظيف بعض النظريات النقدية التراثية وأننا لو عزفنا على الفكر النقدي العربي وجئنا إلى الفكر النقدي المعاصر ، لانبهرنا أمام دروبه ومجاهله ، ومثل هذا السلوك العقيم العاق معا، سيدفع بنا إلى الانتحار الفكري لأنه سيجعلنا قوما دون هوّية ، وأدباء دون أدب ، ونقاد دون نقد ، بل قد يدفع بنا إلى إتخاذ الانقطاع المعرفي سبيلا نسلكه وفعلا نحمده حمدا فإذا نحن لا نكون أكثر من صورة لغيرنا فينا لا أكثر ولا أقل .[3]

---

[1] ينظر: عبد الملك مرتاض: نظرية النص الادبي ، دار هومة، الجزائر ، 2007م، ص: 187.

[2] عبد الملك مرتاض: في نظرية النقد ، ص : 19.

[3] عبد الملك مرتاض: نظرية النص الأدبي ، ص 196.

وقد صرح عبد الملك مرتاض بأنه يكثر القراءة لأكبر الأدباء والنقاد العرب منذ كان طالبا. كما اعترف لإحدى الطالبات مؤخّرا عن سؤال طرحته حول عن أكثر الأدباء والنقاد الذين يقرأ لهم ، فكانت إجابته كالآتي : " أنا معجب بأدباء العربية القدامى ، ومنهم " الجاحظ " و " ابن طباطبا" و"عبد القاهر الجرجاني " و "علي بن عبد العزيز الجرجاني" و المرزوقي " و " المعري " وأما بمن أنا معجب من أدباء العربية المعاصرين فإني كنت معجبا بـ " طه حسين " حتى إني كنت أحفظ مقدماته وب " جبران خليل جبران " . [1]

ومن خلال ما تطرقنا إليه نلمس الدواعي التي مكنت الناقد " عبد الملك مرتاض " من إثراء ثقافته وبنائها ومكنته من إتقان اللغة العربية والتحكم في زمامها والإحاطة بأسرارها وكذا نكتشف السبب وراء قوة لغته النقدية وجماليتها الموسوعية ، التي يبدو وان قراءاته المبكرة لأعمدة التراث العربي كانت منبعا لذلك ، وبالطبع نبع القرآن الكريم أيضا .

ثانيا: المرجعيات الحداثية النقدية:

تمثل الثقافة الغربية وأعلامها وخصوصا الفرنسية الرّافد والمرجع الحداثي الذي جعل من الناقد " عبد الملك مرتاض " منفحتا على مختلف المناهج النقدية الغربية ، لما قرأه في كتبهم اللسانياتية أو البحث في أسس وأصول منطلقاتهم الفكرية والنقدية ولا سيما الأعلام الفرنسيين منهم .. يقول الباحث علي مولاي بوخاتم : " ففي هذا الجانب من مكوناته الأوّلية ذهب" مرتاض " إلى القول أن قصّته مع المكونات الغربية ابتدأت بمنهجية ووعي منذ عشرين عاما بالتحديد أي منذ أن تعرّف شخصيا على أستاذه (أندري ميكائيل) المستشرق الفرنسي المعروف والذي تعلّم منه في جلسات قصار (بالكوليج) " دي فرانس " كثيرا من العلم وكثيرا من التأصيل المنهجي خصوصا ، وقد جعلته هذه السيرة يعيد النظر في ترتيب أوراقه " .[2]

---

[1] ينظر: رشيدة غانم: اللغة الواصفة عند عبد الملك مرتاض ، مخطوط ماجستير، إشراف : مصطفى دراوش، جامعة مولود معمري، تيزي وزو- الجزائر ، 2012م ، ص :65 .

[2] علي مولاي بوخاتم: الدرس السيميائي المغاربي، ص : 250.

ولعل تفسير علاقة الناقد"عبد الملك مرتاض" مع المناهج الغربية يرجع الى اقتراح أستاذه " أندري ميكائيل " الذي اختاره مرتاض مشرفا في تحضيره بحث دكتوراه ، وبعد أن قبل هذا المستشرق قدّم إليه مرتاض خطة البحث الأولية فنصحه بقراءة بعض الكتب النقدية الحداثية، الفرنسية لنقاد أمثال " رولان بارث " و" تيزفيتان تودوروف " و" غريماس " و" جيرار جينيت " و"كلود ليفي ستراوس" مخاطبا إياه: بعد أن تقرأ تلك الكتب انتهج المنهج الذي تشاء إن كنت من الفاعلينِ! وقد سار مرتاض وفق النصيحة ما يفسّر تمكنّه اليوم من مختلف المناهج الغربية لأنه قرأها في مصادرها ابتداء من بحوثه الأولى ، ومن المؤكد أن " أندري ميكائيل " كان على يقين بأن مرتاض سيستوعب بعد مشواره في القراءة لأولئك الذين قرأ لهم بأن النص الأدبي عالم سحري لا يمكن قراءته بمنهج واحد.[1]

لقد رأى "عبد الملك مرتاض" عناية الدّارسين الغربيين " تتبارى في سبر أغوار النص الأدبي وتتنافس في فلسفة مفاهيمه وتعميق تعريفاته وإختصار الفروق التقليدية التي ظلّت زمنا طويلا تقضي بفصل الشعر عن النثر الأدبي وتخصيص موضوعات للشعر وموضوعات أخرى للنثر .. ، إلى ما إلى هذه الدراسات الجديدة المثيرة كما رأى أيضا أن المناهج النقدية العربية القديمة هي مناهج وليدة عهدها أكثر ما انتهجت إليه في دراسة النّص الأدبي هو الشرح والتعليق أو التصنيف للدراسة والتحليل ، كما أن الدارسين العرب المحدثين يركزون على الدراسات التقليدية ومناهجها التي تعني بالمؤلف وبيئته وزمانه أكثر مما تعني بالنص الأدبي في حين أن المناهج الغربية تقوم على الدراسة لا على " الشرح " التصنيف ، وهي تركز على النص الأدبي في ذاته من خلال قراءة أكثر فاعلية ، لأن النص الأدبي جوهر قائم بذاته ، ويجوز أن تكتب عنه دراسات مختلفة ، اذا ما اختلفت الأذواق الشخصية للدارسين ، وتباينت ثقافتهم بين عمق وبساطة ، وقدم وحداثة .. " [2]

[1] رشيدة غانم، اللغة الواصفة عند عبد الملك مرتاض ، ص : 77.

[2] عبد الملك مرتاض: النص الأدبي من أين؟ وإلى أين؟ ، ص : 4 – 5 .

لقد كان " عبد الملك مرتاض " يشهد محاضرات الجامعات والمعاهد الفرنسية ويتتبع خطوات العلم هناك ، علاوة على بدائع الفن والأدب وكل ما كتبه أو قاله المنظّرون اللسانياتيون والفرنّسيون بوجه خاصّ ، فلقد ابتدأ مرحلة جديدة بقراءته في الحداثة الفرنسية وأعلامها من دون استثناء ، بعد أن لم يكن يقرأ إلا للكتّاب الفرنسيين التقليديين في الإبداع والنقد مثل (بييف وتين ولانسون) وأحفادهم من الأساتذة.. [1]

ولتأكيد استفادته المبكرّة من النقد الجديد وتيارته ، وتأييده لمواقف أعلام هذا التنظير يشير " عبد الملك مرتاض " بقوله " لولا طائفة من النقاد الثوريين الذين رفضوا أن يظلّ النقد على ما أقامه " تين " و" لانسون " و" بييف" وأقبلوا يبحثون في هذا النص بشره علميا عجيب ، فأخذو يقلّبون أطواره على مقالب مختلفة ، ومن هؤلاء الاجتماعيون والبذيونوالتفكيكيون أو التشريحيونوالسيميائيون ، وأثناء ذلك الأسلوبيون ، لكان أمر هذا النقد ودراسة النص الأدبي بخاصة انتهى إلى باب مغلق ، لا ينتفح بأيّ مفتاح ". [2]

وعلى الرّغم من انفتاح " عبد الملك مرتاض " على الثقافة الأجنبية وكثرة قراءاته عنها إلاّأنَّ ذلك لم يزده إلاّ اقتناعا بتراثه وعروبته. يقول الباحث بخصوص هذه القراءات النقدية " هذه القراءات في الأدب الفرنسي الجديد لم تكن تزيدني إلاّ اقتناعا بأنّ العرب هم على شيء عظيم ، وأقصد بالعرب هنا الأجدادأحسن الله إليهم لا الأحفاد ، إنّهم كانوا يحومون حول كثير من النظريات والأفكار الكبرى للحداثة الغربية .. " [3]

لقد كان للبعثة الثقافية التي خاض غمارها الدكتور " عبد الملك مرتاض " أثرها الكبير في تحوّل فكره النقدي الحداثي ، وكان لأعلام النقد الفرنسي أثرهم الواضح في مساره النقدي والسّيميائي خصوصا..

والجدير بالذّكر في هذا السياق هو إرجاع الفضل إلى الباحث " عبد الملك مرتاض " بوصفه صاحب السّبق في نقل النظريات اللّساناتية الجديدة " وفي استيراد المفاهيم

---

[1] ينظر: علي مولاي بوخاتم: الدرس السميائي المغاربي ، ص : 14.

[2] عبد الملك مرتاض: (أ . ي) دراسة سميائية تفكيكية (اين ليلاي) ص : 19.

[3] ينظر: علي مولاي بوخاتم ، الدرس السميائي المغاربي ، ص: 251 .

والمصطلحات إلى سوق النقد الجزائرية، وذلك بالنظر إلى الاتجاه العام الذي سلكه في النقد، والمساعي التي بذلها في تحقيق القيم الحضارية فضلا عن تجربته ومراسه مع الحداثة وأعلامها وهي حصيلة غنية توفر عليها الباحث، لا تزال بصماتها جليّة في ميادين كتاباته النقدية بكل ما فيها من أبعاد ودلالات. [1]

لقد رجع "عبد الملك مرتاض " مقتنعا « بأن المدار في المنظور الحديث يكون على الدّراسة العمودية المنهج، لا على الجمع وعلى الملاحظة الدقيقة لا على الشرح التعليمي، الأفقي المنهج، وعلى افتضاض أسرار النص الأدبي والتحكّم بعقلانية وخيالية معا في خفاياه النادّة، ومكامنه المعتاصة.. [2]

ومع التحوّل المنهجي الذي عرفه الدكتور " عبد الملك مرتاض " في مساره مع النقد التقليدي ومناهجه إلى النقد النّصاني ومناهجه الحداثية، أصبحأكثر وعيا وانشغالا بمكانة المنهج في الخطاب النقدي المعاصر، على غرار النقاد العرب المحدثين، فالمنهج من المسائل الجوهرية التي تأتي في صدارة الطرح النقدي المعاصر، وهو مسألة شائكة باعتبارها مرهونة بما حققه العصر من إنجازات نقدية واسعة، لقد أخرجت النقد العربي المعاصر إلى مجال العقلنة ، وأبعدته عن الانطباعية ، لاسيّما في ظل الإعصار المعرفي في شتى العلوم، خاصة اللسانيتية.

" لقد أصبح بإمكان النقاد العرب في ظل هذا التحول المنهجي أن يتناولوا الأعمال الأدبية بوصفها مجموعة من الآليات الإجرائية التي توضح المنهج، وتحدّده بدّقة ، وأصبحت الدّعوة إلى قراءة النص الأدبي بصفة متواصلة ومتجددة ، يولد خلالها النّص مع كل قراءة ، وتتضاعف دلالاته " . [3]

[1] علي مولاي بوخاتم ، الدرس السميائي المغاربي، ص: 11.

[2] عبد الملك مرتاض: النص الأدبي من أين؟ والى أين؟ ص : 4.

[3] ينظر: علي مولاي بوخاتم، الدرس السميائي المغاربي، ص : 64.

أصبح الفهم البصير لحركة الثقافة في السّاحة العربية أيضا يحتّم الالتحام بين التراث والحاضر، والنّظر إليهما على أنّهما قيمتان متكاملتان لا قيمتان متباينتان " بل هما قيمة واحدة مستمرة تحّتم بذل الجهد في سبيل تصحيح الرؤية ، وتحديد الموقف .. " [1]

اتسم الخطاب النقدي المعاصر بكثير من المساءلات النقدية في مختلف القضايا والإشكالات وخصوصا ما يتعلق با" التراث" و" الحداثة " ومناهجهما في دراسة النص الأدبي ، –وفي هذا الإطار– كان « اهتمام الدكتور " عبد الملك مرتاض" بالنصوص الأدبية القديمة ومقاربتها برؤى نقدية حداثية تستلهم زادها النقدي من بؤرة المناهج النقدية المعاصرة، وهو الشيء الذي جعل دراساته تتسم بسمة مميّزة تكشف عن مدى استيعابه ووعيه لمختلف النظريات النقدية الحديثة وإلمامه بالتراث العربي " [2]

يقول مرتاض– متسائلا– : " ما موقفنا من الحداثة؟ وما موقفنا من التراث؟ وهل يجب رفض التراث جملة وتفصيلا ؟ اعتقد أن لا عاقل يقول بهذا. وإذن، فكيف نفيد من التراث ونتعلق بالحداثة في الوقت ذاته؟ إنّه آن لنا أن نراجع مناهجنا انطلاقا من معطيات الحداثة، كما نراجع أنفسنا من أجل تطعيم رؤيتنا إلى النص الأدبي، كيما نعامله معاملة حديثة، ولكن دون أن نفصمه عن الذوق العربي . فماذا نأتي؟ [3]

إنّ التحوّل المنهجي الذي شهده الخطاب النقدي العربي المعاصر ، الذي استفاد من النقد الجديد ونظرياته المختلفة.. ، برغم ايجابياته إلاّأنّه – بالمقابل – ولّد حيرة واضطرابا.. جعلا من النقد العربي الرّاهن يقف في مفترق طرق سواء على الصّعيد التنظيري ، أو التطبيقي .

[1] محمود الربيعي: حاضر النقد العربي ، دار المعارف بمصر، ط1 ، د/ت ، ص : 10.

[2] بشير تاوريريت : الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة والنظريات الشعرية، عالم الكتب الحديث، إربد الاردن، ط1، 2010م ، ص: 136.

[3] عبد الملك مرتاض: (أ . ى) دراسة سميائية تفكيكية (أين ليلاي) ص: 10.

وعلى ضوء ما سبق نعرض في المبحث الآتي لتجربة الباحث " عبد الملك مرتاض " على الصعيد المنهجي وإشكالاته، محاولين تتبع ما –أمكننا ذلك –خصائصها ومميزاتها ، ومختلف تحولاتها من خلال نتاجه النقدي الغزير..

ثالثا: التركيب المنهجي وإشكالية " اللاّمنهج " عند " عبد الملك مرتاض " :

عاد " عبد الملك مرتاض" بعد أنأتّم دراسته في فرنسا – يقول يوسف وغليسي– معبأ بأحدث المفاهيم والنظّريّات النقدية الغربية (ومعزّزا بمناعة نقدية تراثية) فجّرها – بعيد ذلك – ثورة عارمة في الخطاب النقدي الجزائري ، ومن الطبيعي جدا أن تحدّد هذه الثورة موقف صاحبها من المناهج الأخرى التي قامت على أنقاض بعضها ، وظلّت تناوئ بعضها الآخر ومن هنا تطرح إشكالية " المنهج المعارض " [1]

وقبل أن نخوض في هذه المسألة نرى أن نتطّرق للحديث عن المنهج النقدي ومفهومه – عموما– في النقد الأدبي وذلك لأهميته ومركزيّته في الخطابات والدرّاسات النقدية في الأدب..

أ. المنهج النقدي (الأدبي):

لقد عرّفه المعاصرون بتعريفات عديدة تميّزت بتقاربها وتقاطعها، فالناقد " رينيه ويليك " يرى أنّ المنهج في النقد الأدبي هو " طريقة لتنظيم النشاط الذهني، نشاط يستند إلى مخز ون فكري متكامل البناء ، واضح الرؤية ، متمكّن من أدواته العلمية وأبعاده المعرفيّة، وهذا الرّصيد الفكري المختّص ، هو الذي يؤهل الناقد إلى قراءة النص الأدبي مدفوعا بحبه الاكتشاف بالرغبة في تجلية المكنون،وإظهار الغوامض،ومغامرا من أجل تعريّة أسرار الجمال في النص.. "[2]

ويرى الدكتور" صلاح فضل " أنّ المنهج النقدي له مفهومان أحدهما عام والآخر خاص.

---

[1] يوسف وغليسي: الخطاب النقدي عند " عبد الملك مرتاض " ، ص:82 .

[2] نور الدين السد: الاسلوبية وتحليل الخطاب (دراسة في النقد العربي الحديث) دار هومة للطباعة – الجزائر – د/ط ، 2010م ،ص:55،ج1.

أمّا العامّ؛فيرتبط بطبيعة الفكر النقدي ذاته في العلوم الإنسانية بأكلمها وجوهره فلسفي، ديكارتي الأساس يقوم على مبدأ الشك للوصول الى اليقين .

وأما الخاصّ؛ فهو الذي يتعلق بالدراسة الأدبية ، ويطرق معالجة القضايا الأجنبية والنظر في مظاهر الإبداع بأشكاله ، وتحليلها وهو بهذا المفهوم يتحرّك طبقا لمنظومة خاصّة به تتألّف من مستويات لعلّأهمها هو مستوى النظرية الأدبية، فالمفهوم المعرفي المؤسّس للأدب هو النظرية ، والمنهج النقدي هو الذي يختبر توافق هذه النظرية مع مبادئها ، ويمارس فعاليته ، ويتم تداوله عبر جهاز اصطلاحي..

وحسب الناقد – " صلاح فضل " – تمثل المنظومة الإصطلاحية الأدوات المنهجية التي يطبّق بها المنهج وهي خاضعة للتغيير من منهج إلى آخر ، ولها دور أساسي في مختلف المجالات في التمييز بين اختصاصات القول .

فالنظرية والمنهج والمصطلح –عند " صلاح فضل"– تمثل منظومة متكاملة تبدأ من الإطار الشامل (وهو النظرية) وتنتهي إلى التقنية المتداولة التي يستعملها أصحاب المنهج في ممارساتهم العملية. [1]

وغير بعيد عن الدكتور " صلاح فضل " يرى الباحث الجزائري " يوسف وغليسي " أن " المنهج النقدي هو جملة الأساليب والآليات الإجرائية الصادرة عن رؤية نظرية شاملة إلى الإبداع الأدبي، والتي غالبا تنبثق عن أساس فلسفي أو فكري ، يستخدمها الناقد في تحليل النص وتفسيره بكيفية شاملة،لا تتوقف فعاليتها على عتبة دراسة الجزء من الكل، وإنّما تتجاوز ذلك إلى النّص في صيغه الكاملة شكلا ومضمونا ، وفي انتمائه إلى أي جنس أدبي." [2]

[1] صلاح فضل : مناهج النقد المعاصر، دار الآفاق العربية ، القاهرة، د.ت، ص ص : 9-11.

[2] يوسف وغليسي: الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض ، ص : 24.

ويخضع تطبيق المنهج النقدي إلى خصوصية النص الأدبي ذاته، وذلك –على ما يبدو– ما جعل بعض النقاد يلّحون على حتمية اختيار المنهج المناسب قبل الشروع في العملية الدراسية!...

تعددت مناهج النقد ، وبات الحديث ثريا ومتشعّبا ، يخوض فيه النقاد والدّارسون للأدب ما سمحت لهم معارفهم أن يخوضوا فيه ، دون الوصول إلى رؤية موّحدة أو على الأقل متماسكة ، فلا يمكن لمنهج نقدي أن ينصّب نفسه المنهج الوحيد الذي يكشف عن خبايا النص الأدبي أو أنّه سيجيب عن كلّ التساؤلات التي يوحيها ذلك النص ، مهما كان بسيطا وواضحا. والاختلاف في الأجوبة هو اختلاف في زاوية الرؤية ، إذ ينطلق كل منهج نقدي من مجموعة من المسلّمات يريد أن يكشف وجودها، أو صدقها في النص المدروس،لذلك فكلّ منهج نقدي سيصل حتما إلى نتائج متباينة عن منهج نقدي آخر، وهما يدرسان نصا أدبيا واحدا » [1].

لقد أصبح النقد الحداثي الجديد ،لا يستأثر بمنهج واحد محدّد ينتهجه خلال العملية النقدية ، وبات الكثير من نقادنا العرب يسعى إلى الجمع بين عدّة مناهج في تحليل النص الأدبي ودراسته ، وساعدت في ذلك النظريات اللسانية الحديثة ومناهجها المتعددة .. لقد أصبح لا ينظر إلى النص الأدبي إلاّ في ضوء خصوصيات لغته وأسرارها .

ب. " التركيب المنهجي " عند عبد الملك مرتاض :

يقوم المسار النقدي للباحث " عبد الملك مرتاض " على التطوّر والتحوّل خاصّة على مستوى المنهج ، فهو يولي اهتماما وافرا لهذه القضية إلى جانب النص الأدبي ولغته ، ولا تكاد تخلو دراسة من دراساته على مقدمة شافية تستوفي الإشكالية المنهجية حقّها من البسط والدّرس ، فهو – كما يذكر عنه الباحث يوسف وغليسي – يلبس لكل زمان نقدي لبوسه

[1] محمد ساري : النقد الادبي مناهجه وتطبيقاته (عند الدكتور محمد مصايف) مخطوط ماجستير ، إشراف واسيني الأعرج ، جامعة الجزائر، 1993/1992م ، ص 31

المنهجي، وهو متطوّر ومتجدّد باستمرار ، ما يلبث على حال منهجية حتى ينتقل إلى حال أخرى ..

يساوره قلق منهجي دائم، وإيمان متجذر باستحالة تأسيس منهج ثابت لجنس أدبي متحوّل .. [1] وبالطبع فإنّ لهذا التغيّر والتطوّر أثر في طبيعة لغته النقدية ومسارها وكذا مؤلفاته ، إنّها متنوعة وثريّة، خاصة من حيث المصطلح باعتبار أنّ لكلِّ منهج مصطلحات خاصّة به – كما سبق ذكره – .

استهلّ "عبد الملك مرتاض " مشواره النقدي منذ نهاية الستينات ، ناقدا انطباعيا وكان كتابه (القصّة في الأدب العربي القديم) وشي من كتابه (نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر) حصادا مبكرّا وسريعا لهذا الاستهلال [2]، لكن هذه الانطباعية لم تستغرق من الناقد " مرتاض " إلاّ حيّزا نقديا محدودا، قبل أن يهتدي إلى " المنهج التاريخي " الذي تزامن مع انشغالاته الأكاديمية في بداية مشواره النقدي.

لقد كان كتابه (فن المقامات في الأدب العربي) وهو رسالة جامعية في الأصل (1970) تناولت فن " المقامات " العربية ، وتطوّره خلال عصور تاريخ الأدب العربي من يوم بزوغه إلى يوم أفوله .. [3] ثم عزّزه الناقد بكتاب ثالث (فنون النثر الأدبي في الجزائر) ، وهو أيضا رسالة دكتوراه ، نوقشت في جامعة " السّربون " بفرنسا (1983م) ، هذا الأخير كان قمة عهده بالمنهج التاريخي وآخره في الآن نفسه.

ودَّع " عبد الملك مرتاض " مرحلة النقد التاريخي، ليرتقي إلى مرحلة أخرى تتسم بالتحوّل والتطوّر وذلك تماشيا مع تحوّلات العصر في هذا الجانب ، مؤكدا بذلك قصور المناهج التقليدية ومشيدا بالمناهج الحداثية..

وفي هذا يقول الباحث " عبد الملك مرتاض " : " .. لنختلف إلى الأبد، في المنهج الذي نتناول به النص الأدبي، فليس من الخير أن نتفق في مثل هذه الأمور ، بل من

---

[1] يوسف وغليسي : الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض ، ص : 31.

[2] المرجع نفسه ، ص : 33.

[3] المرجع نفسه : ص : 42.

الضلال المبين أن ندعو إلى هذا الاتفاق الذي لا يعني إلاّ القصور والإقبال على التقليد، ولكن مالا ينبغي أن نختلف فيه أنّ المناهج التقليدية بقصورها وانطباعيتها وفجاحاتها وأفقيّتها لا تستطيع أبدا ، وما ينبغي لها أن ترقى إلى مستوى النص الأدبي من أمره المعقّد المعتاص ذا بال . فلنكن ما نشاء ومن نشاء في منهجنا ولكن لا نكون فقط تقليديين . ذلك أننا لو تسامحنا مع أنفسنا وسقطنا في أوحال التقليدية الفجّة ، نعب منها ونكرع ، فلن نصبح قادرين على بلوغ بعض ما نريد من أمر النص الأدبي الذي نعرض له بالتشريح " [1]

لقد مكنت الثقافة الواسعة لعبد الملك مرتاض ، والاطلاع على النظريات والمناهج النقدية الغربية ، من الاستفادة منها ، ولعلّ كتابه (النص الأدبي من أين؟ والى أين ؟) يشكل خلاصة منهجية واعية تتبلور عندها جملة محاولاته التأسيسيّة التجريبيّة ، تنظيرا وتطبيقا .. فهو ثورة منهجية منظّمة ، تحارب القديم البالي ، وتؤسّس للجديد العصري من منظور ألسني مهيمن.[2]

والكتاب في الأصل هو بعض محاضرات الباحث " عبد الملك مرتاض " في علم النص (1983) وهي محاولة رائدة في التأليف النقدي العربي انطلقت من الكشوفات الحديثة في تقنيات النص الأدبي، وعضدّت تحليلها وآراءها النقدية بتشريح نّص للتوحيدي ، وذهب " عبد الملك مرتاض " فيه إلى التوكيد على النّص (الأدبي) كجوهر قائم بذاته ، فكتب فصلا مخصّصا للحديث عن الفن والجمال وعلاقتهما باللغة ، أو لغة الأدب، واعترف " مرتاض " باستفادته من القضايا ذات الصفة النقدية والألسنية ليكون الفصّل المخصّص لتشريح نص التوحيدي من كتابه " الإشارات الإلهية " تطبيقا لمحاولات تحديث علم النص ونقده . [3]

[1] عبد الملك مرتاض: (أ – ي) دراسة سميائية تفكيكية (اين ليلاي) ، ص: 18.

[2] يوسف وغليسي: الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض ، ص : 56.

[3] ابراهيم عبد العزيز السمري : اتجاهات النقد الادبي العربي (في القرن العشرين) – دار الآفاق العربية- القاهرة، مصر ، ط1،2011م ، ص: 386

يقول " عبد العزيز المقالح" : " كان " عبد الملك مرتاض " في كتابه .. يتمثّل أحدث أساليب النقد الأوروبي الحديث ، مع استعداد صادق وأصيل لكي يوظّفه توظيفا عربيا ويرفد به ثقافتنا النّقدية الحائرة بين القديم والجديد، وبين الأصيل والوافد ..

كانت دراسة الدكتور " عبد الملك مرتاض " تراوح – منهجيا – بين البنيوية والأسلوبية من منظور ألسني موحّد، يتزواج فيه المصطلحان الألسني والنحّوي، وتتعايش فيه الثقافتان الحداثية والتراثية تعايشا سلميا نابعا من شخصية الناقد نفسها ." [1]

وفي مرحلة لاحقة انتبه الباحث " عبد الملك مرتاض " إلى السّيميولوجية يوليها فاعلية في قراءة النص الأدبيفأنجز جملة من الدّراسات في هذا المجال ، وفي مرحلة تعد الأكثر تأسيسا للمنهج السّميائي بمعناه الفعلي الدقيق والأكثر تمثيلا لإجراءاته ، عنت بصفة جليّة مرحلة التسعينات، وتوّجتها عدّة مؤلفات أهمّها (ألف ليلة وليلة) تحليل سميائي تفكيكي لحكاية " حمّال بغداد " (العراق 1989) (الجزائر 1993) وكتاب (أ . ي) دراسة سميائية تفكيكية لقصيدة (أين ليلاي) لمحمد العيد آل خليفة (1992م) وكتاب: شعرية القصيدة . قصيدة القراءة تحليل مرّكب لقصيدة " أشجان يمانية " (1994) ، وكتاب تحليل الخطاب السّردي . معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية " زقاق المدق " (1995م) وغيرها.

وفي هذه المرحلة تخطى الباحث جملة من العقبات التي كان يواجهها في المرحلة السّابقة كإشكالية (الشكل والمضمون) ، مثلما بدأ يتجاوز (البنيوية) إلى (مابعد البنيوية) إذ اخذ يصطنع (منهجا مركّبا) جديدا يقوم في الغالب على المراوحة والمؤالفة بين السميائية والتفكيكية [2]

لقد بدأ مرتاض مساره النقدي السيميائي من خلال تحليله السردي لحكاية " حمّال بغداد " – كما ذكرنا سابقا – رغبة منه في الدخول إلى مرحلة أكثرتأسيسالإرساء معالم

[1] يوسف وغليسي: الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض، ص: 60.

[2] يوسف وغليسي : المرجع نفسه ، ص 64

الدرس السيميائي ضمن تجربته التفكيكية.. وفي كتابه هذا يكشف الباحث عن ملامح منهجه الجديد المرتكز على رصد التوفيق بين التراث والنظريات اللسانياتية بما فيها الاجراءات السيمائية.

وقد أفضى المنهج المتّبع بالناقد إلى جملة من النتائج الباهرة التي تخص هذا الإرث التراثي العريق (ألف ليلة وليلة) ، ما كان ليبلغها لو لم يكن يؤمن – وفقا للتصور التفكيكي– بانفتاح النص والتعدّدية القرائية للنص الواحد .[1]

يقول علي مولاي بوخاتم: " وقد تلت هذه الدراسة ممارسة أخرى في تحليل الخطاب الشعري هي أكثر نشاطا وفعالية في مجال التنظير الشعري وتحليله ، ونقصد بذلك كتابه أ/ ي دراسة سيميائية تفكيكية لنص اي ليلاي " لمحمد العيد آل خليفة " ، الذي يعدّ البداية الأولى للإنتاج التطبيقي في ميدان الدراسات النقدية الحديثة التي اعتمد فيها " المنهج السميائي " ، كتاب يشمل جزءا من مشروع نقدي ضخم سار من خلال اللسانيات والسيميائيات في العلوم الإنسانية، ونقلة نوعية في التأسيس الفعلي للاتجاه السيميائي والتفكيكي.[2]

ويفصح " عبد الملك مرتاض " في هذا الكتاب قائلا: " اضطررنا إلى تناول هذا النص وهو " أين ليلاي " (ويقع في ثلاث عشرة وحدة) : من حيث تفكيك المدلول ومن حيث البناء اللغوي ومن حيث الحيّز الشعري ، ومن حيث الزّمن الشعري ، ثم من حيث التركيب الإيقاعي وخصائصه عبر هذا النص فكان لا مناص من تناول عنصر من هذه العناصر في فصل مستقل بذاته.[3]

يقول " مولاي علي بوخاتم " وفي ضوء التصوّر الشامل للرؤية المنهجية عند " عبد الملك مرتاض " ، فقد قصد البحث في أصول المنهج المتبع (وهو السيميائي التفكيكي)

---

[1] طارق ثابت: عبد الملك مرتاض وجهوده في التنظير لتحليل الخطاب الأدبي (المنهج السميائي نموذجا) ، جامعة ورقلة – الجزائر، reviues.univourgla.dz/index.php/numèro-11-2011/666-2013-05-

[2] مولاي علي بوخاتم: الدرس السميائي المغاربي، ص: 72.

[3] عبد الملك مرتاض: (أ . ي) دراسة سيميائية تفكيكية (اين ليلاي) ص : 7.

مقاربا ذلك بالبنيوية ، ومجموع الأفكار التي احتوتها ، مبينا السميائية كمنهج نظري وإجرائي بالقول : إنّ المتتبع لمصطلحاتها ودلالة هذه المصطلحات يستخلص منها أنّها ليست لسانيات متطّورة تحاول أن تكون كلية النظرية ، شمولة النزعة، بحيث تتسّلط على كل ما هو لغة، وخطاب وسمّة ونص ودلالة وتركيبة وتأويلة (Heurmeneutique) ودال ومدلول. [1]

ويذكر " مولاي علي بوخاتم " أن بعد هذه الممارسة النقدية في نص " أين ليلاي " كانت دراسة " عبد الملك مرتاض " لقصيدة الشاعر اليماني " عبد العزيز المقالح " أشجان يمانية (قراءة القصيدة . قصيدة القراءة) وقد ذهب الباحث إلى بناء منهجه فيها على خمسة مستويات كان قد أبان عنها مسبقا في بعض ممارسته النقدية، مجتهدا في رصدها قائلا: " وقد اقتضت سيرة هذه القراءة أو هذه الكتابة الإبداعية الثانية أن تمثل تحت خمسة زوايا ، لكّل واحد مذهب يجسّد مستوى بعينه.

المستوى الأوّل: ويجسّد قراءة تشاكلية انتقائية.

المستوى الثاني: ويجسّد مقاربة تشاكلية تحت زاوية الاحتياز.

المستوى الثالث: ينصّب على المقارنة الانزياحية.

المستوى الرابع: يمثّل قراءة جديدة في الحيّز.

المستوى الخامس: يقرأ النص من زوايا الأيقونة ، الإشارة ، القرينة ، والرّمز .

ومن متابعة الباحث " مولاي علي بوخاتم " لمستويات هذه الدراسة وغيرها من دراسات " عبد الملك مرتاض " تحقّق له القول أنّ " منهجه هو منهج مرّكب جمع بين السميائية إلى الأسلوبية والتفكيكية في تكامل ايجابي أظهر من خلاله تخطيا لكثير من العقبات المنهجية التي واجهته في المرحلة الحداثية لاسيّما مثل بعض الأحكام النقدية الانطباعية التقليدية.[2]

[1] مولاي علي بوخاتم: الدرس السميائي المغاربي ص 74

[2] مولاي علي بوخاتم: المرجع نفسه ،ص : 82.

وبعد الذي سبق ذكره نعود – هنا –لإلقاء بعض الضوء على إشكالية " المنهج المعارض " عند " عبد الملك مرتاض " ، فممّا نلاحظه من خلال عناوين الكتب السّالفة الذكر، أنّها دراسات بمناهج مركبة بأكثر من منهج ، وهذا اعتقادا منه بأن أحادية المنهج عاجزة عن بلوغ الغاية المطلوبة من النقد ، ويؤكد ذلك قوله : " إنّ من السذاجة أن نزعم أنّنا نبلغ من النص الذي نوّد قراءته منتهاه ، إذا وقّفنا من حوله مسعانا من منظور نفساني فحسب، أو منظور بنيوي فحسب ، مثلا .. من أجل ذلك تجنح التيارات النقدية المعاصرة إلى ما يطلق عليه في اللغة النقدية الجديدة " التركيب المنهجي " وذلك لدى إرادة قراءة نص أدبي ما مع الاجتهاد في تجنيس التركيبات المنهجية حتى لا يقع السقوط في التلفيقية.

ويقول " مرتاض " أيضا : " وقد كنا ألفينا بعض المفكرين الغربيين ، وخصوصا " جولدمان" حاول المزاوجة بين النزعتين البنيوية والاجتماعية بتحويلهما إلى تركيبة منهجية بل معرفية أيضا ، جديدة هي " البنيوية التكوينية " وكأنه إنّما رمى وراء ذلك إلى إنقاذالبنيوية والاجتماعية معا. ذلك بأن البنيوية وحدها من حيث إنها نزعة شكلانية خالصة تغتدي هشّة فجّة ، بسقوطها في الميكانيكية الشّكلية التي تجرّد الأدب من وظيفته الاجتماعية ، وفعاليته الإنسانية، وتأثيره الجمالي وتجعل منه مجرّد صدى فارغ لعمل اللغة من حيث هي خارج إطار التاريخ " .[1]

وعن موقفه من بعض المناهج يقول " مرتاض " – أيضا– : " كم رسفنا في أغلال الماركسيّة والنفسانيّة والتينيّة * ، ثم لم نخرج بشيءيذكر من الغناء، أيّهاالإيديولوجيون والنفسانيون والاجتماعيون ، دعوا الأدبللأدباء وخوضوا في عملكم الذي تعرفون ... أفلم يأن له أن يهتدي السبيل إلى منهج من صميم نفسه، يفسره ويعريه ، ويعزف عن هذه الاجتماعيات الإيديولوجية المتكلّفة والنفسانيّات المريضة المتسلطّة " [2]

[1] ابراهيم عبد العزيز السمري: اتجاهات النقد الأدبي العربي (في القرن العشرين) ، ص: 228.

* نسبة الى (هيبوليت تين) .

[2] يوسف وغليسي: الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض . ص : 83.

وعن منهج" البنيوية التكوينية " يرى " عبد الملك مرتاض " أنّ هذا المنهج المهجّن لا يبرح لدى التطبيق غير دقيق المعالم، ويحسِبُه غير قادر على استيعاب كل جماليات النص وبناه، حيث إنّه إذا جنح للبنيوية تتنازعه الاجتماعية وإذا انزلق إلى الاجتماعية تتنازعه البنيوية ، فيضيع بينهما ضياعا بعيدا.

هذا جانب من مواقفه المنهجية (المعارضة)، وغيرها كثير إن رحنا نتتبعه ، وإن دلّ على الثورة فقد كانت ثورة على ذاته الأولى بالدّرجة الأولى – كما يذكر الباحث يوسف وغليسي – وأنّ ذلك ليس من قبيل التناقض الصارخ، وإنّما هو من قبيل تجاوز الذات وتجديدها .. وفي إطار القلق الحداثي الدائم..

ج . إشكالية " اللاّمنهج " عند " مرتاض ":

يقول " عبد الملك مرتاض " : " أولى لنا أن ننشد منهجا شموليا ، ولا أقول منهجا تكامليا إذ لم نر أتفه من هذه الرؤية المغالطة التي تزعم أن الناقد يمكن أن يتناول النص الأدبي بمذاهب نقدية مختلفة في آن واحد فمثل هذا المنهج مستحيل التطبيق عمليا ، وكيف يجوز التقوّل عل النص الأدبي البريء ، والعبث به على هذا النحو المريع.. " [1]

وعليه يناهض " عبد الملك مرتاض " اسطورة المنهج المتكامل مناهضة شديدة وساخرة، وفي ذات السّياق ينشد منهجا يسميه " شموليا " ويسمّيه" المستوياتي " أحيانا أُخر يقول الباحث " يوسف وغليسي " : " يغدو النّقد التكاملي أبعد المناهج عن تسمية (المنهج المتكامل) التي سماه بها المرحوم " سيّد قطب " وآخرون، والتي لا نرتاح لها كثيرا لأنها صفة من صفات الآحاد، أي المنهج الواحد في انسجامه وترابطه وتكامل صورته المنهجية، لكّنها نادرا ما تتوفر في كشكول منهجي أو منهج موسوعي ، كالمنهج " التكاملي " ، وما أبعد الكامل عن المتكامل " ! .[2]

[1] يوسف وغليسي: النقد الجزائري من اللانسونية الى الألسنية ، اصدارات رابطة ابداع ، الجزائر، 2002م، ص: 103.

[2] المرجع نفسه ، ص: 104.

لقد دأب بعض الدارسين على إطلاق صفة " اللّامنهج " على ما يسّمى بالمنهج " التكاملي " الدّاعي إلى تلفيق المناهج وترقيعها بعضها ببعض ، محاولة التوفيق بينها ورغبة في الخروج منها بصورة منهجية شاملة وكاملة [1].. وبرفض " عبد الملك مرتاض " رفضا قاطعا لما يسمى " بالمنهج التكاملي" ، فإنه قد أثبت – في المقابل – فكرة " اللاّمنهج" خاصّة وأول مرة في كتابه (النص الأدبي من أين ؟ وإلى أين؟) حيث قال: " بعبارة صغيرة ولكّنها جامعة ، إنّ اللاّمنهج في تشريح النص الأدبي هو المنهج " .[2]

إنّ النص الأدبي . كما يراه مرتاض . عالم جوهري يحمل كل خصائص الجوهر، بما فيه من شرعية وآنية ، وأصالة وخلود.. لا يختلف من زمن لزمن ، ولا من مكان لمكان، ولا من شخص لآخر، وإنّما الذي يختلف هو الدراسة التي تقوم حوله، ثم الأشخاص الذين يتناولونه ، أما هو فهو هو.. فكأنّ النص الأدبي يتجدّد وينبعث من خلال كل قراءة يقوم بها قارئ.. وهكذا نجد عطاء النص الأدبي متجدّدا أزليا ، لا ينفذ أبدا: فكّلنا استعطاه قارئ أعطاه.[3]

فاللاّمنهج– يقول الباحث يوسف وغليسي – : " في أبسط صورة يعني الدخول المحايّد إلى النص مجرّدا من الآليات المنهجية الصّارمة (التي لابد أنها مستمدة من خصوصية نصّية مغايرة) لمواجهة النص مواجهة مرنة، تتظاهر بأدوات منهجية قابلة للتطويع، بما يعمّق عطائيته ، ويتركها أرضية بكرا ، قابلة لممارسات قرائية مفتوحة.. " [4]

يقول " عبد الملك مرتاض " : " انّنا نلج عالم النص الأدبي بدون رؤية مسبقة وربما بدون منهج محدّد من قبل .. " [5] وهو ما يتماشى ومفهوم "اللاّمنهج " فكأنّ النّص الأدبي هو الذي يحدّد منهج دراسته الخاص به.

---

[1] يوسف وغليسي : الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض ، ص: 86.

[2] يوسف وغليسي: المرجع نفسه، ص: 87

[3] عبد الملك مرتاض: النص الأدبي من أين؟ وإلى أين؟ ، ص: 55.

[4] يوسف وغليسي: المرجع السابق، ص: 89.

[5] عبد الملك مرتاض: أ . ي (اين ليلاي) ، ص: 13.

إنّ " اللاّمنهج" يقّدم نفسه – لدى " عبد الملك مرتاض "– على أنّه قراءة حرّة مفتوحة (تحرّر المنهج ويستعمرها النّص) لكنّها ليست نهائية.

وفي هذا السيّاق يقول " يوسف وغليسي" :" يبدو أنّ تحلّي النّاقد " عبد الملك مرتاض " بروح " اللاّمنهج" في معظم ممارساته ، قد آل به إلى استثمار الآليات المنهجية الغربية (الدّخيلة) بطريقة عربية ، يحكمها ذوق عربي صاف. قد تسيئ إلى أصول المنهج ولكنّها لا تسيئ (وما ينبغي لها أن تسيئ) إلى خصوصّية النّص اللأدبي " [1]

ويعترف النّاقد " عبد الملك مرتاض " بثورته على المناهج قائلا: " ونحن نؤثر الثورة على المناهج ، وانتقادها ، لتبيان وهنها، ولكن من أجل محاولة تكملة نقصها ، أو العثور على بدائل لها قد تكون أحسن وأمثل لا من أجل رفضها على وجه الاطلاق " [2]

وما يمكننا قوله – مما سبق – أنّ التعصّب لمنهج واحد غير محمود حسب الخارطة المنهجية للناقد " عبد الملك مرتاض " فذلك مما لا يخدم المعرفة ولا العلم ، وقد أثبتت التجارب المنهجية وتطّور المناهج وتعاقبها عدم امكانية الاستنامة إلى منهج بعينه وعدِّه كاملا، وكشّافا لأسرار النّص وخباياه..

ولعّل هذه الحقيقة –في رأينا – هي من أكبر الدّوافع التي توجّه الخطاب النقدي والمنهجي خصوصا عند " عبد الملك مرتاض " وتجعله قلقا، نشيطا ، ينحو التركيب والتوليف بين العديد من الأدوات والآليات الإجرائية للنظريات النقدية من أجل بلوغ دراسة منشودة ومثلى في تناول وقراءة النص الأدبي العربي على الخصوص..

ونود قبل أن نختتم هذا الفصل النظري أن نشير إلى أنّنا سنعرض المزيد من رؤى الناقد " عبد الملك مرتاض " في المنهج واللاّمنهج ،، من خلال متابعته ورصده لأهم المدارس النقدية المعاصرة ونظرياتّها ومبادئ مناهجها ، في الفصل التطبيقي القادم في مدوّنته " في نظرية النّقد ".

[1] يوسف وغليسي: المرجع السابق. ص: 89.

[2] عبد الملك مرتاض: مائة قضية وقضية، دار هومة، الجزائر، 2012م، ص: 15.

الفصل الثاني

قراءة في كتاب" في نظرية النقد" لعبد الملك مرتاض

أولا: لمحة عن الكتاب.

ثانيا: النقد من منظور عبد الملك مرتاض.

ثالثا: التوفيق بين التراث والحداثة في للنقد عند مرتاض.

رابعا: نقد النقد عند مرتاض.

أولا : لمحة عن كتاب" في نظرية النقد":

يعتبر كتاب "في نظرية النقد" "لعبد الملك مرتاض" مساهمة تنظيرية في النقد العربي المعاصر، ويبدو أنه قد جاء مصداقا لما كان يأمل فيه الباحث، وهو أن يسعفه الزمن بلحظات رخيّات يدبّج فيها شيئا مفصّلا من النزاعات النقدية المعاصرة وجذورها الفلسفية العميقة...[1]

فمادة الكتاب وفصوله، حصاد لما يزيد عن عشرة أعوام من البحث والتنقيح، ومحاولة صياغة الكثير من الأجوبة لكثير من المساءلات في مجال النقد، وقضاياه ومدارسه، ونظرياته ....وغير ذلك.

ويلمس القارئ ذلك مباشرة، بمجرّد الوقوف على عتبة عنوان المدّونة، ومن خلال تقديم الناقد- لها- نستطيع تلمس الداعي الأكبر لتأليف وتسطير ما جاء فيها... فالكتاب إضافة إلى المكتبة النقدية العربية، ومساهمة إزاء إشكالية ندرة التنظير النقدي القح في الساحة العربية الرّاهنة، والمتميزة بكثرة النقاد، وانعدام للنقد ولنظريته؟...

فموضوع الكتاب هو متابعة لأهم المدارس النقدية المعاصرة، ورصد لنظرياتها بالبحث في أصولها وجذورها، والغوص في مدى تلاقيها وتنائيها، وكذا علاقتها بالتراث النقدي العربي القديم-خاصّة -...

ويذكر "عبد الملك مرتاض"- في تقديمه للكتاب- أنّه مما بحث في بعض الكتاب مسألتان مهمتان هما: البحث في الماهية التي تحكم النقد(الكتابة الثانية) خاصة بين النقاد التقليديين (الغرب) والنقاد الجدد...

أما المسألة الأخرى- والتي تمثل مصدر قلق الباحث- فهي غياب المدرسة النقدية العربية (المعاصرة) رغم وفرة النقاد المرموقين؟.. ويتساءل الباحث:

هل يرقى نقدنا المعاصر إلى مستوى النظرية؟ ومتى يعلو إلى درجة المدرسية؟؟

[1] ينظر: عبد الملك مرتاض: أي (أين لبلاي)، ص28.

وكان الباحث قبل ذلك قد استهل–تقديمه للكتاب– بالتطرّق إلى رباعية، القراءة/الكتابة/النقد/ المستحيل، متمثلا القراءة كتابة وهي المجال الأول للنشاط النقدي تنظيرا وتطبيقا، والنقد –عنده– كتابة ثانية حول الكتابة الأولى (الإبداع)... لكن الكتابة–عند مرتاض– تعّد بمثابة مستحيل، أو ممارسة للمستحيل والتماس للمجهول؟... وذلك أن الكتابة الأدبية–خصوصا– تنهض على سحر اللغة التي تقوم على شرود المعاني، وتبحث عن الحقيقة في المجهول... وهنا تبدو حيرة الناقد وتساؤلاته المتعددة؛ فهل الكتابة مجرد مستحيل؟...

وهل اللغة وحدها أمست في تمثل الكتاب الجدد هي الحقيقة ولا شيء غيرها؟.

يقول "عبد الملك مرتاض" ربما كان ذلك ، وربما لم يكن؟؟. كيف يطمح الطامحون إلى تقنين الأدبية ومفهومها زئبقي عويص الماهية، ويطمحون في معالجته بالمناهج، وتناوله في إطار التيارات الفكرية والفلسفية، والإديولوجية، ابتغاء تطويعه للإستعمال، وطمعا في تأويله للمتلقنين؟.. يقول الباحث "عبد الملك مرتاض" كل الأسئلة هنا.[1].

إن كتاب "في نظرية النقد" عدّة نقدية منهجية، تحوي رؤى وتصورا وتنظيرا يرقى بمستوى القراء واهتماماتهم، ويساعد في نضج وعيهم، عرضا، وجدلا وحوارا.

[1] عبد الملك مرتاض: في نظرية النقد ،ص 12

ثانيا –النقد من منظور "عبد الملك مرتاض":

يعتقد "عبد الملك مرتاض" باستحالة القدرة على وضع قواعد تضبط دراسة النص الأدبي وتكشف عن خفاياه، ولعل الممكن للدارس هو أن يضع تجربته بين أيدي القراء، وأن يتحدث عنها، أو يتمثل المنهج الذي يتعامل به شخصيا، وإذا كان الإستناد في منهج التناول وسبيل التعامل إلى الموضوعية الفنية والمعايير النقدية الجاهزة؛ فإنها تظل متسمة بالذاتية– فتشريح النص– –حسب الباحث– إبداع حتما، فإن لم يرق إلى هذه، فهو مجرد شرح مدرسي عقيم.[1]

ويذهب "عبد الملك مرتاض" في تعريفه للنقد بقوله: "والنقد في مدلوله العالي إبداع فني ثان، وأي نقد لا يرقى إلى هذه المكانة فهو مجرد لغو ومحض باطل وفضول، وكل دراسة تقام حول نص على أصولها المنهجية المستندة إلى العلم والموضوعية الصارمة، لا ترقى في إطار مفهومها إلى منزلة الإبداع الثاني لا يجوز أن تسمى دراسة.

فالنقد على أصوله الموضوعية الصارمة يظل ضربا من الإبداع الفني. فإن رضى لنفسه أن يكون ابتذالا لمعايير جاهزة وقواعد متكررة، وأحكام بالية – ولو ادّعى على نفسه صفتي الجدّة والحداثة– فهو مجرد كلام ممجوج يرصف حول كلام تفترض فيه الإبداعية والشعرية."[2]

وفي هذا السياق تقول "ماجدة حمود": لو تأملنا النص النقدي الجيد الذي يلقى رواجا لدى القراء للاحظنا أن فيه من الذاتية ما لا يمكن أن يخطر على بال كحماسة الناقد للنص الأدبي، ذوقه في تناول مواضع الجمال فيه، ارتجاله واعتماده على طبعه الخاص في إطلاق الحكم بل نجد فيه بضع نفحات من الوحي والإلهام، لكننا في المقابل نجد فيه كثيرا من الموضوعية، كالاستفادة من معطيات العلوم الإنسانية واستخدام المنطق في الحوار مع الكاتب أو القارئ، واعتماد المبادئ العقلية التي تنظم الأفكار وتمنع الزيغ والإنحراف لتضمن

[1] عبد الملك مرتاض: النص الأدبي من أين؟ وإلى أين؟، ص49

2-المرجع نفسه، ص50.

الإنطلاق من النص الأدبي وتتابع خطى الناقد فيه من السابق إلى اللاحق أي من مقدماته إلى نتائجه".[1]

وقد تظل إبداعية النقد عند "عبد الملك مرتاض" نسبية جدا، بحيث يجب أن ينضاف النقد إلى الإبداع، من خلال تناول هذا الأخير، فلا يكون خالصا في نفسه. يقول "مرتاض": "ولعل النقد الحقيقي كما يرى بعض ذلك "روبير سكانير"، ليس هو الذي يستطيع أن يضيف إلى الإبداع فحسب، ولكنه هو الذي يستطيع أيضا أن ينضاف إليه يذوب في الوقت ذاته ،. وليس ذلك الذي يذوب فيه .وليس هذا السعي كما نرى بالأمر الميسور على وضع النقد." [2]

إن الكتابة أدب قوامه الخيال ، والنقد قوامه المعرفة ، وهو في أكثر مظاهره الجدية لا يمكن ان يظل إلاّ ماهو عليه ، أي تقديم تعليق على عمل أدبي ، ولكن بحساسة مرهفة تسعى إلى إبراز الأسرار الجمالية ، والحقائق المخبوة التي يحملها النص الأدبي للقراء ، المفتقرين إلى من ينير لهم السبيل ويسلك بهم الطريق[3]

فالناقد كما أفصح عنه "ميخائيل نعيمة "« هو مبدع ومرشد مثلما هو ممحص ومثمن ومرتب »[4] ،والنقد – كما تقول حكمت الخطيب– "لا يستطيع أن يضيء بنية النص، ويلقي الضوء على مواطن الجمال فيه ومواطن الضعف عن طريق التحليل والتعليل والتفسير."[5]

إن الناقد مبدع "ليس فقط بسبب طبيعته الأدبية، وإنما لكونه يأتي بالجديد الكامن في النص الأدبي... ولا شك ان الفكر النقدي حين يقدر ما يستفيد، وبذلك يمكن للنص النقدي أن ينأى عن الجفاف والصلابة في التعبير، فيكسب بذلك تفاعل القارئ وانجذابه لمتابعة النص النقدي، وعندئذ يستطيع أن يقوم بدوره بشكل أفضل، فتبرز فاعليته في الحياة والأدب على السواء."[6]

---

[1] ماجدة حمود: علاقة النقد بالابداع الادبي، منشورات دار وزارة الثقافة، دمشق سوريا،1997 ص13

[2] عبد الملك مرتاض، في نظرية النقد، ص18

[3] المرجع نفسه، ص30

[4] عمار زعموش: النقد الدبي المعاصر في الجزائر قضايا واتجاهات، ص50.

[5] عبد العزيز حمودة المرايا المجدبة من (البنيوية على التفكيكية)عالم المعرفة الكويت،أفريل 1998، ص 26 ،

[6] ماجدة حمود :علاقة النقد بالابداع الادبي، ص 24

ومن خلال متابعة الناقد "عبد الملك مرتاض" لماهية ومفهوم النقد والنقاد في الثقافة الغربية، ومن خلال رصده للاضطراب الشديد في تصورات المنظرين في التماس حقيقة النقد، التي تلتبس بالأدب ونظريته خصوصا (أدبية النقد)، يقطع الباحث بأدبية الأدب، ونقدية النقد قائلا: "إن الأدب هو الأدب، ولكن النقد هو النقد، وإن الأدب ينتمي إلى أشكال التبليغ في مستواها الأرقى، على حين أن النقد ينتمي إلى الإديولوجيا، والثقافات، والإتجاهات الفكرية، والنظريات المعرفية على اختلافها...

ورغم الإضطراب في تصوّر النقاد المنظرين، و الذي تؤكده مقولة "تيبودي" Albert Thibaudet (1874-1936)التي يذهب فيها إلى أنه لا يوجد نقد، ولكن يوجد نقاد فقط، يبقى النقد بحكم طبيعته التي تتخذ لها معنى الإشكالية، رهين الأهواء والإديولوجيات، ويبقى الخلاف هو المغذي للكتابة النقدية بالأفكار ويمدها بالنظريات ويوحي إليها بكل الإجتهادات الممكنة؟؟.[1]

وعلى ضوء هذا الإضطراب (الإختلاف) فالنقد عند "عبد الملك مرتاض" هو أسير لثلاث إشكاليات تلاحقه ويلاحقها وهي: إشكالية علم النقد، فنيته، واحترافيته، فهل النقد شيء خالص من هذه الأشياء؟؟[2]

يقول "مرتاض": "إنا لا نحسب ذلك. فلا النقد الأدبي في الزمن الراهن على الأقل، قادر على أن يكون علما خالصا فيسلّم الناس بأحكامه تسليما مطلقا مثلما يسلّمون بنتائج العلوم الدقيقة...، ولا هو بقادر على أن يكون فنا خالصا فيتداخل مع الإبداع الخالص وينافسه وظيفته التي هي غير وظيفته، وإن كنا نجنح لإدراجه تحت لواء الفنية من بعض الوجوه على الأقل،[3] ففنية النقد ربما تكون أدنى إلى حقيقة النقد من علميته حيث إن الإبداع في حدّ ذاته ضرب من الفن الخالص. وكأن ما نطلق عليه نحن (الابتداع) وهو ما يمكن أن نطلق عليه أيضا استيحاء من المفاهيم الغربية المعاصرة، "لغة اللغة" أو(Métalangage) الذي

[1] عبد الملك مرتاض: في نظرية النقد، ص30

[2] المرجع نفسه، ص31

[3] المرجع نفسه ، ص33

يكتب من حوله، أولى له أن يكون شيئا يرتدي رداء الفنية ليستطيع مقاربة الكتابة الأدبية وقراءتها[1]، فليس النقد الأدبي صناعة خالصة مجرّدة من الفن والذوق من وجهة، والعلم والمنطق من وجهة أخرى.[2]

إنّ الإحاطة بماهية النقد – حسب الباحث "عبد الملك مرتاض"– تمثل إشكالية شديدة التعقيد غامض، معتاصة، لا يقطع فيها بمفهوم بسيط... وذلك أن النقد بمفهومه المعرفي المعقد، وماهيته الجمالية المتناهية اللطف يندرج ضمن الإهتمامات الفكرية المستمرة، فمنذ كان الإبداع كان الرأي حوله؛ ومنذ كان الإبداع الشعري خصوصا، كان النقد له، أي منذ كان فن القول، أو العمل الفني باللغة(le langage) التي تستحيل إلى بناء أسلوبي معين، كان حولها اللغة الواصفة، أو لغة اللغة(méta langage)...

ثم إن النقد نقدان: نقد نظري. ونقد تطبيقي، وإنّ النّاس على ماكتبوا كثرة كثيرة حول النقد، فإنّ التمييز في كتاباتهم هذه بين النظرية والتطبيق قليل....

إضافة إلى ذلك أن النقد يمكنه تجاوز هذين النقدين الإثنين إلى ثالث: هو ما يكون نقدا لهما، أو نقدا عنهما ،أي ماهو متداول اليوم تحت مصطلح: "نقد النقد" (méta critique).[3]

يبحث النقد التنظيري في أصول النظريات، وفي جذور المعرفيات وفي الخلفيات الفلسفية لكل نظرية وكيف نشأت و تطورت حتى خبت جذوتها، ثم كيف ازدهرت وأفلت حتى هان شأنها: ويقارن فيما بينها ويناقش تياراتها المختلفة، عبر العصور المتباعدة المتلاحقة معا، أو عبر عصر واحد من العصور. سواء علينا أدرست مثل هذه المسائل تحت عنوان "نظرية الأدب" أم "نظرية الأجناس" أم "الأدب المقارن" أم تحت أي عنوان آخر مثل "نظرية الكتابة": فإن الإطار الحقيقي كأنه يظل هو النقد العام.

أما النقد التطبيقي فيرى "عبد الملك مرتاض" أنه يكون ثمرة من ثمرات النقد النظري الذي يزوّده بالأصول والمعايير والإجراءات والأدوات، ويؤسّس له الأسس المنهجية التي

[1]- عبد الملك مرتاض ،المرجع السابق، ص32

[2]-المرجع نفسه، ص33

[3] المرجع نفسه ،ص ص50-53.

يمكن أن يتخذ منها سبيلا يسلكها لدى التأسيس لقضية نقدية، أو لدى دراسة نص أدبي، أو تشريحه، أو التعليق عليه، أو تأويله... وتظل غاية النقد في الحالين الاثنين هي اهتداء السبيل إلى حقيقة النص... باختلاف الاتجاهات الفنية، والتيارات الفكرية.[1]

ويرى "مرتاض" أن النقد التطبيقي أشبه بالعلوم التطبيقية بالقياس إلى النقد التنظيري الذي يشبه العلوم التأسيسية، وبفضله نلمس ثمرة الجهد النقدي في إجراء التنظير، أي بفضله نستطيع ترجمة المجرّد إلى المحسوس والغامض إلى الواضح.

وفي مجاله تتكشف كل النظريات والمعرفيات النقدية، فإذا هذا النقد إجتماعي، أو وجودي، أو نفساني، أو بنيوي أو جمالي وهلّم جرا... فهو بمثابة القراءة المجهرية الدقيقة الكشف، الشديدة التعرية لنص أدبي من وجهة نظر معينّة لا مناص منها.

إنّ النقد التطبيقي – كما يراه الباحث– هو قراءة مجهرية لا سطحية ولا عابرة، بل قراءة تعنت نفسها في الكشف عن كل ماهو ممكن الكمون...[2] "إنها القراءة الاحترافية المنتجة التي يتولد عنها نص أدبي مكتوب."[3]

ويرى "عبد الملك مرتاض" أن السؤال عن النقد وماهيته، هو سؤال آخر في الوقت ذاته عن الأدب. فهما يشكلان سؤالا واحدا تحت وجهين مختلفين – كما يقول "سرج دبروفوسكي" (serge doubrovsky) هما: الإبداع وتأويل الإبداع.

وهو ما يبدو متوافقا مع ما أعلنه "رولان بارت" في كتابه(essais critiques) أنّ: النظرية النقدية أصبحت تعالج بعض القضايا والمشكلات التي طرحتها النظرية الأدبية المعاصرة ...وهو مايعني بحسب سمير حجازي– أنه لا يمكن لنا فهم النظرية النقدية بدون أن تفهم النظرية الأدبية ذاتها فكلاهما يبدوان في حالة معينة من الترابط[4] .

[1]- عبد المالك مرتاض :في نظرية النقد، ص ص50- 51.

[2]- المرجع نفسه،ص52.

[3]- المرجع نفسه ،ص 13.

[4]سمير حجازي :قضايا النقد الأدبي المعاصر ،دار الأفاق العربية ،القاهرة ط1،2007،ص 31

ويتساءل الباحث عن إشكالية: أي النقدين نريد؟ هل النقد التقليدي أم النقد الجديد؟ ثم من أي جانب من الجوانب يؤخذ النقد في ماهيته، أمن جانبه التاريخي، أم من جانبه المعرفي، الإيستمولوحي؟ وما "المعنى الأدبي" الذي يجاهد نفسه أشق الجهاد كل نقد من أجل أن يفهمه، والذي ينعى النقد القديم على الجديد أن يخرقه؟...

ولكن السؤال المركزي – حسب "مرتاض"– هو: هل النقد ضروري للإبداع فيكتب من حوله؟ أم هو مجرّد قول على قول، وتعليق يثقل كاهل الأدب ويزعج وجوده، ثم لا شيء؟

يقول "مرتاض": "الحق أن النقد إذا كان ضروريا ونحن نصرف الوهم إلى مفهومه التقليدي، وأنّه ظلّ قائما قريبا من خمسة وعشرين قرنا من حياة الأدب الإنساني، فما القول في النقد الجديد؟.

ويرى الباحث أنّ أيّ نشاط فكري لا ينتقد ذاته لا يتطوّر إلا ببطء شديد. وأن النقد بنوعيه التقليدي و الجديد، كما لاحظ ذلك "سرج دبروفسكي" يتوهمان حين يعتقدان أنّهما في علاقة موضوعية خالصة مع الإبداع، و أنّهما بصدد تكوين معرفة تراكمية ومحايدة من حوله.

إنّ النقد – حسب "مرتاض"– محتاج إلى نقد ذاتي ينّمي به نفسه، ويصحّح من خلاله مساره، والنقد الذاتي شيء يختلف عن "نقد النقد" الذي يقع وسطا بين تاريخ النقد، والتوقف لدى المعالم الكبرى لهذا النقد عبر مدرسة بعينها، أو عبر عدة مدارس، في حين أن النقد الذاتي يمكن أن ينصب على مراجعة الأعمال النقدية الشخصية، أو الأعمال النقدية نفسها لمراجعة بعض المبالغات أو التهويمات، وتصحيح المواقف التي قد لا تكون لائقة منهجيا، أو فلسفيا، أو معرفيا، أو جماليا أو كل ذلك جميعا...[1]

ويعتقد "عبد الملك مرتاض" أن النقدين التقليدي والجديد كلاهما يبالغ في موقفه، ويتطرف في منهجه، ذلك أنه لا الاشتغال بحياة المؤلف وأسرته وزمانه ومكانه وعرقه وكل شؤونه

1 عبد المالك مرتاض :في نظرية النقد ص: 55-56.

.

التي تنصرف إلى إنسانيته أو رجولته مما يساعد على الفهم الصّحيح لعملية الأدبي، ولا إهمال المؤلف جملة وتفصيلا، وتحت الإصرار المبيت، مما يظهر القارئ أو المحلل، على فهم العمل الإبداعي أيضا. وربما كان الموقف الوسط هو الأسلم في تدبير هذه المسألة وتقريرها...

ويضرب الناقد "عبد الملك مرتاض" في هذا السياق أمثلة يوجه فيها نظر القارئ ليقف على عدم ضرورة المرور إلى فهم الإبداع إلا بقصور الفهم ككل ما يتعلق بالمبدع، كما يعتقد أصحاب المدرسة النقدية التقليدية، وإلى خطورة النقد الجديد للتاريخي في سبيل الإستيمولوجي، على حين أن هناك كتابة نقدية لا يمكن الإستغناء فيها عن المعرفة التاريخية، بكل الملابسات التي تحيط به. فهناك الأدب وهناك تاريخ الأدب، وهناك النقد، وهناك النقد وهو نقد غير النقد.[1]

وعلى هذا الصعيد يمكن الاستشهاد بمقولة الباحث الأكاديمي السوفيتي "ديمتري ليخايشن" فهو يرى أن: "دراسة النص الأدبي بذاته قد يأتي ببعض النتائج المفيدة، ولكنها رغم ما قد تتميز به من ماهية ونفاذ ليست كلّها خالية من الذاتية والانطباعية...

وإن أكثر الأعمال الفنية لمعانا وتألقا، وكذلك روائع النقد الأدبي التي تدرس أسلوب العمل الأدبي سوف تظل عبارات فارغة، وحتى غير مفهومة أحيانا إذا لم نصف إليها المحتوى التاريخي العميق، فدراسة العمل الأدبي كعملية متحركة وليست كشيء مغلق على ذاته...

لا يبرهن فقط على الظاهرة، ولكنه يوضحها أيضا ويجعلها واضحة بسيطة".[2]

ويؤكد "عبد الملك مرتاض" أستاذ النقد في ممارسة ووظيفته على التاريخ كبقية المعارف الإنسانية الكبرى، كالفلسفة والمنطق، واللسانيات، وعلم الإجتماع، وعلم النفس... ولكنه يؤكد

[1] عبد المالك مرتاض ،المرجع السابق، ص63

[2] -ديمتري ليخايشن: (التاريخ –أم الحقيقة) حوار مع "غالب همسا"، مجلة الأقلام، وزارة الثقافة والفنون ببغداد، ببغداد، العراق، ع12، أيلول/1978م،ص155

طبيعة إفادة النقد من هذه العلوم، فالمعرفة التاريخية. مثلا. لا يجب أن تتخذ جهازا إخباريا يسند إليه كل الاستناد لدى تحليل الظاهرة الأدبية، وترك ما هو أولى بالتحليل...[1]

ويرى "مرتاض" أن بالنقد الجديد انقلب النقد من الشرح إلى تاويل والتحليل.

ويعني التحليل ما يعنيه من قراءة متبصرة متعمّقة متأملة تنصرف إلى السّطح بمقدار ما تنصرف به إلى العمق. ويرى أن هذه القراءة تزعم لنفسها وضعا نقديا مشروعا يقوم على غرار النقد بمفهومه الكلاسيكي وهي قد أصبحت متنوعة الأشكال التي تقوم على هامش المذاهب الأدبية الجديدة الكبرى. وتنطلق من الخلفيات المذهبية أو المدرسية؛ لقد أصبح النص الأدبي الواحد يقرأ بقراءات متعدّدة انطلاقا من إحدى تلك المدارس الفنية.

وعن الرؤية الخاصّة للباحث فيما يتعلق بالقراءة التحليلية؛ فهو لا يريد بها نقدا خالصا وهو لا يراها كذلك. فهل يمكن إن يحل النقد محل القراءة الجديدة؟ هل يمكن كما يقول "مرتاض" – الاستغناء عن وظيفة الناقد وتعويضها بوظيفة المحلّل؟

وهنا يميّز "عبد الملك مرتاض" بين النقد والقراءة؛ فالقراءة كونها جهازا معرفيا وجماليا جديدا لا ترقى إلى مستوى النقد بمعناه الكامل، وكما لا يمكن للنقد أن يرقى إلى مستوى القراءة بمعناها الكامل أيضا... وكل يصنّف في منزلته."[2] فالنقد مسؤولية وموقف، فإن لم يكنهما فلا كان، والقراءة حرّية وتحرّر، فإن لم تكنهما فلا كانت؟ والنقد موقعة، ولملمة، وموضعة، ومفهمة، والقراءة رمرمة وحوم، ورصد وغوص."[3]

يرى الناقد "عبد الملك مرتاض" أن عملية التحليل الأدبي تختلف تماما عن النّقد، فهي برغم استفادتها –كما النقد– على إحدى الثقافات المعرفية ..،فهو –أي التحليل الأدبي– ينصرف إلى البحث في مظاهر العلاقات و مستويات النسيج الأسلوبي، و خصائص اللعبة اللغوية ليهتدي آخر الأمر إلى معرفة ما في النص الأدبي من ظواهر مهيمنة، لغويا

[1] عبد الملك مرتاض: في نظرية النقد، ص66

[2] المرجع نفسه ،ص65

[3] عمار زعموش: المرجع السابق، ص51.

و نسجيا و جماليا على الأقل، دون أن يكون مضطرا إلى وضع كل ذلك النشاط الذهني في إطار زمني تاريخي ..،كما أنه يقف جهده على عمل إبداعي واحد، يرصده بالدراسة الأدبية بمستوياتها المختلفة في داخل المذهب الفني الواحد ..،فتحليل النص –عند "مرتاض"– هو شكل من الكتابة أدنى إلى الممارسة الإبداعية منه إلى شيء آخر[1].

و المحلّل هو مبدع ثان، هو مبدع –على حد تعميم "مرتاض"– يمكن أن لا يوصف بالأول ولا بالثاني، فكتابته يجب أن ترقى إلى مستوى أي أبداع آخر، و يبقى فقط موقعة هذا الإبداع في سجل التاريخ الأدبي، كما يموقع أي إبداع آخر فيحكم له أو عليه [2].

و يرى "مرتاض" أن المحلل ربما يذوب في النص المحلَّل فيغتديان شيئا واحدا فيشق التمييز بين الإبداعين الإثنين.وعليه فهو يفضل استعمال مصطلح "الإبداع" على "التحليل الأدبي"، أو الكتابة التحليلية تارة أخرى [3] ... ويعد تحليل النّص الأدبي جزءا من الأدب الخالص الذي كن "طه حسين" يطلق عليه "الأدب الإنشائي" [4]

و ما يريده "عبد الملك مرتاض" بهذا التمييز للتحليل الأدبي، هو فصله و تجريده عن ركاب النقد النظري الذي كثيثرا ما يغمطه حقه ...ولا شيء لأرقى في وصف الأدب نفسه .. ما دامت كل المحاولات اللاهثة التي سعت إلى علمنة الأدب و نقده، لم ترق قط إلى مستوى العلمنة الخالصة [5].

و يذهب "عمار زعموش" إلى أن الإبداع –حسب "عبد الملك مرتاض"– يتوفر في القراءة باعتبارها تمثل أعلى مستويات إعادة إنتاج المقروء ...فهي أكثر مظاهر التناص مشروعية، و القراءة المثمرة إذن ضرب من "من التناص المعطاء، و القراءة التي لا توحي بالقراءة هي قراءة ميتة أو لاغية .."[6]

---

[1]-عبد الملك مرتاض : في نظريّة النَّقد، ص:66.

[2]-عبد الملك مرتاض : شعريَّة القصيدة-قصيدة القراءة، ص:16.

[3]-المرجع نفسه،ص:18-19.

[4]-عبد الملك مرتاض : في نظريَّة النَّقد، ص:67.

[5]-المرجع نفسه، ص:68.

[6]-عمَّار زعموش : النَّقد الأدبيّ المعاصر في الجزائر، قضاياه واتجاهاته، ص:51.

يقول الناقد السعودي "محمد عبد الله الغذامي" :"لا شكّ أنّ هناك رابطاً وثيقاً بين النقد الأدبي و الفلسفة منذ جمع بينهما أرسطو في التنظير إلى اليوم، حيث نرى "جوناثان كولر" يقول :" بحلول النقد الأدبي محلّ الفلسفة، ثم حلول (النظرية) علماً و مقولةً محل الكلّ"[1]. وفي هذا السياق، وعن علاقة النقد بالفلسفة، تأتي رؤية الناقد "عبد الملك مرتاض" نافية لكون النّقد فلسفةً، و جازمةً لأن لا ينبغي له أن يكون فلسفةً (ومن أجل ذلك سمي نقداً لا فلسفةً)، و ذلك مهما تعددت مظاهره، وسواء كان نقداً للأدب أو نقد نقد، أو حتى نقدَ نقد ..، و إنما يحاول النقد أن ستعير من مناهج الفلسفة، كالنزعة (Méta-métacritique)

(Jacques Derrida)" النقدية القائمة على الإجراء التعويضي الذي أصله "جاك دريدا بعد أن استوحى أصوله من الفلسفات الماركسية و الفرويدية و النيتشية، وعلم الإجتماع .. فلا ينبغي لتظير الإبداع و رصد مظاهره، أن يقع في فخ التنظير الفلسفي المجرد، الذي كان أصلا من أجل نفسه، أي من أجل البحث في أصول المعرفة من حيث هي معرفة فضية إلى معرفة الحقيقة التي هي بعض غاية التفكير الفلسفي أساساً فقد يكون المنطلق في الفلسفة و النقد متشابها و قد يكون المنهج في بعض المظاهر –غير متعارض ولا متناقض– ولكن ذلك كله لا يكاد يتجاوز المنطلق و المظهر و المسعى، فالنقد يجنح للإستعانة بالإبداع، و الإستظهار بالتطبيق عليه من حيث هو نشاط ذهني خيالي يبرر أدبية النص، ولا أدبيّته .. في حين أن الفلسفة لا تجنح بحكم طبيعتها التجريدية لشيء يمكن أن يطبق، أو لشيء يمكن أن ينتفع به في مجال العمل –على الرغم من الفلسفة البراغماتية و الأمريكية التي ربطت التفكير المجرد بالعمل، و الحقيقة بالمنفعة المادية–فكأن ماهية الفلسفة عقلانية، و ماهية النّقد رؤيوية[2].

ويرى "مرتاض" أن من أخطر الأسئلة –التي طرحها– هي: هل يرقى النتاج الخيالي إلى مستوى نستطيع معه أن نؤسس عليه أو إنطلاقا منه، نظرية معرفية كما نؤسّس نظريات

[1]-محمَّد عبد اللَّه الغذامي : نقد ثقافي أم نقد أدبي؟، دار الفكر بدمشق، سورية، ط1، 1425هـ/2004م، ص.5.

[2]-عبد الملك مرتاض : في نظريَّة النَّقد، ص:69-.70

معرفية حول النتاج العقلي البحث؟. أي هل يمكن أن يتم تأسيس نظرية نقدية بناءًا على أشكال الإبداع؟. ثم بناءًا على درجة أدبيته : ثراءًا ونضوبًا، وجودةً و رداءةً؟ أم نؤسس طرائق الكتابة الإبداعية على دعائم النظرية النقدية؟ أي هل يسبق التأسيس النظري ما يمكن أن نطلق علية التجلّيات الإبداعية (المراحل التي يمر بها الإبداع) أو أن الإبداع هو الذي يكون أبدا أصلاً في تأسيس النظرية؟، أو أن الأمر يكون طوراً هكذا، وطورًا هكذا لا يمكن القطع بالجواب؟؟.

و هنا يؤكّد "عبد الملك مرتاض" ميله إلى أن الإبداع العظيم كثيرًا ما يكون أصلاً في تأسيس النظرية أو ميلاد "مذهب جديد"، و يضرب لذلك مثل القصيدة العربية الّتي تكوّنت في غياب المذهب المنهجي، بل النقد بأي معنى من معانيه المدرسيّة، فسبقته بأزمنة سحيقة، وكذا الدراما الإغريقية التي سبقت النظريات النّقدية الأرسطاليسية بأزمنة سحيقة.

و لأن ما يعني الناقد "عبد الملك مرتاض" هو فن السؤال السّقراطي.، فحسن إلقاء السؤال في آداب التعلم هو مظهر من مظاهر حسن التفكير ..يرى القارئ المتصفح لمدوّنته جلَّ عنواناتها أسئلة..

وهذه المرة يتساءل الباحث عن طبيعة الأدوات و كذا المنطلقات التي نواجه بها النص الأدبي؟، يقول ما منطلق النَّقد؟ أمن ذاته أم من الموضوع الذي يتحاور معه، أي من الإبداع الذي يتناوله من حيث هو إفراز خيال، لا إفراز عقلٍ[1].

هل للنّقد من ماهية؟ ..سؤال حيَّر النّاقد، وما دام منطلقه من ثنائية الخيال و العقل أي الذات و الموضوع، وما دام ليس علماً خالصًا، ولا فلسفة خالصة، ولا فنّاً أيضا خالصًا، ولا إبداعًا أيضًا خالصًا كما يزعم أصحاب المدرسة النّقدية الجديدة، فالنقد حسب "مرتاض" هو شيء تستميز جوهريته من جملة الجواهر الأخرى دون أن يكون هو بالضرورة، مجرد صورة لها، فكأنه المجال المعرفيّ المهجّن من هذه الجواهر كلّها[2].

[1]-عبد الملك مرتاض : في نظريّة النَّقد، ص:72-73.

[2]-المرجع نفسه، ص:75.

و يرى "عبد الملك مرتاض" أن التّهجين ليس عيباً في تأسيس النّظريات، بل قد يكون ضرورة عمليّة في المجالات والحرف والأنشطة من أجل التّوصُّل إلى نتيجة من النّتائج، أي إلى الحقيقة الّتي هي أسمى ما يبحث عنه، وفيه العقل البشري.

و بالتّهجين كانت الأسلوبيّة عن النّحو والبلاغة وعلم اللّغة، ومثلها علم الدّلالة الّذي هجّن عن شيء من البلاغة والنحو والعروض واللّسانيّات العامة..

و يواصل النّاقد طرح أسئلته، ليكون المنهج هذه المرّة هو: القضيّة، فبأيّ منهج يواجه النّص الأدبيّ؟ أم بأيٍّ من المناهج؟ بل بأيٍّ من اللاّمناهج؟[1].

يرى الباحث أن تعاقب المناهج تعاقباً متسلسلاً متشجِّراً منذ خمسةً وعشرين قرناً، و خصوصاً في القرون الثّلاثة الأخيرة، لا يعني إلا أنّ المناهج قد تكون حقيقتها ضرباً من المعرفة المفتوحةِ، وهي لم تبرح تُجدِّد إيهابها كلَّ حينٍ.. وثبات المنهج، أو معياريته لا يعني –من منظوره– إلا جموده وقصوره عن مواكبة التّطور المعرفيِّ... إنّ أيّ محلِّلٍ للنّصوص الأدبية –في نظر "مرتاض"– إذا انساق وراء منهج ذي خلفية معرفية بعينها، فلا يحيد عنها، ولا يضيف إليها ولا ينقص منها، يكون قد أقحم نفسه في نفقٍمظلمٍ قد لا يستطيع الخروج منه، فإذا خرج منه فسيخرج منهوكاً مدحوراً..، فكأنّ كلّ منهجٍ يستند إلى خلفية معرفية في ظاهرها، ولكن إيديولوجية في حقيقتها[2].

و يمثِّل الباحث –لرؤيته هذه– بالمنهج الإجتماعي الذي ضرب "رولان بارث" به المثل في المعيارية و الثَّبات والقصور والعقم[3].فإنه يستند إلى شبكة من الإيديولوجيات والأفكار الاقتصادية والاجتماعية، تستلهم في استقاء مبادئها الكبرى النَّزعة الماركسيّة.. فالسّوسيولوجيّ ومعه النّفسانيّ، ومعهما غيرهما ممَّن يتدخّلون فب النّقد الأدبي انطلاقاً من مذاهب أجنبيّة عن الأدب: لا يمكن أن يفضي سعيهم ذاك إلى أية نتيجة تذكر[4].

---

[1]- عبد الملك مرتاض المرجع السابق، ص:76.

[2]-عبدالملك مرتاض : مائة قضيَّة وقضيَّة، ص:19.

[3]-عبد الملك مرتاض : في نظريَّة النَّقد، ص:130.

[4]المرجع نفسه ص:77.

و يميل النّاقد "عبد الملك مرتاض" –انطلاقاً ممّا سبق– إلى ما يطلق عليه التّركيب المنهجيّ، وليس التّلفيق المنهجيّ، بحيث –يقول– أن نفزع إلى مبادئ منهج بعينه في حين أنّنا نفزع إلى مبادئ منهج آخر في نص أدبي أخر. ومثال ذلك الرّوايات الاجتماعية الّتي تحاول وصف المجتمع من داخله فتسلّط الأضواء تسليطاً كاشفاً على القضايا اليوميَّة الّتي تكابدها الشَّخصيّات في الرّواية. فمثل هذه النُّصوص قد يكون من الأمثل معالجة تحليلها ببعض أدوات المنهج الاجتماعيّ. والّذي يظاهر المحلِّل على ذلك أنّ مثل هذه النُّصوص كثيراً ما تتجانف عن الأدبية الّتي يتحدّث عنها "رومان جاكبسون" دون أن يحدِّد معالمها، ولا شروط مثولها في النَّص فإذا هو كأنّه يرسل صرخةً في وادٍ، أو نفخٍ في رمادٍ..[1]

فكما يصرِّح "الغذامي": "ها نحن من زمن أرسطو إلى نقّاد العرب إلى زمن جاكبسون ونحن في الحيرة ذاتها في تعريف الأدبية .."[2]

إن النّقد –حسب "مرتاض"– فسيظلُّ دعيًّا على صراحة نسبه مادام غريباً على عراقة انتمائه إلى نفسه ومادام يعترف بقصوره وأدواته عن بلوغ الحقيقة أو اكتناه الغاية، ومادام يصطنع أدواتٍ أجنبيَّة عنه يؤول بها نتاج نفسه، ويصطنعها ابتغاء التّوصّل إلى معرفةٍ حقيقيَّة لذاته، أو معرفة حقيقة ذاته (النَّص الأدبيّ).[3]

وممّا وقفنا عليه في بحثنا هذا من متابعة "مرتاض" ورصده للنّقد الفلسفيّ مركِّزاً الحديث عن "جاك دريدا" ونظريّتيه وموقفه من الكتابة واللّغة خصوصاً... وعنايته بهذه القضيّة الجوهريّة كما عنيّ بها الكثير من الفلاسفة قديماً منذ "أفلاطون" و "أرسطو"، إلى "كانط" و "هيجل" ثمَّ "سارتر" ...فبعد تناول مواقف متباينة لبعض الفلاسفة من الكتابة أمثال "هسرل" (1859–1938)، و"جان جاك روسو" (1712–1778) و "كوندياك"

[1]-عبد الملك مرتاض : مائة قضيَّة وقضيَّة، ص:20.

[2]-محمَّد عبد اللَّه الغذامي : نقد ثقافي أم نقد أدبي؟، ص:14.

[3]عبد الملك مرتاض : في نظريَّة النَّقد، ص:76.

(1714-1780) و "هيجل" (1770-1831) صاحب نظريّة "مركزيّة العقل" ...منتهياً بمبادئ "دريدا" (1930) المؤسِّسَّة لعلم الكتابة*، من خلال كتابه الشَّهير "في علم الكتابة"، و ممَّا يراه الباحث أنَّ "جاك دريدا" أفسد النَّقد الأدبيّ بإصراره على تأسيسه على أصول معرفيَّة فلسفيَّة خالصة ..، يقول "مرتاض" : وهل للفلسفة الكفاءة الأدبيَّة ما يرقى بها إلى تحليل الظَّاهرة الأدبيَّة تحليلاً "أدبيًّا" حقيقيًّأ بعيدًأ عن تمحُّلات الفلسفة ؟؟.

يقول "مرتاض" :"ألّح "دريدا" على محاولة وضع علم الكتابة ،ومن ثم وضع علم للقراءة ، ومن ثم وضع أصول لتأويل النص انطلاقاً من معرفة الفلسفة ، لا من معرفة الأدب ، لأن "بيرس" (peirce)كان ذهب قبله إلى لامحدودية تأويل معنى ما نطلق عليه نحن "المؤاسم" (la sémiosis)في النص الأدبي ، وهذه الفكرة التي ينطلق عليها في النقد الغربي مصطلح :"المواسم اللامحدود الدلالة" (la sémiosis illimités) ذلك بأنه إذا لم يكن لهذا المفهوم علاقة بالانحراف المشكل ،فان له ،مع ذلك علاقة صحيحة بنظرية التقويض[1] .

كما يبدو لـ" عبد الملك مرتاض" أيضا إن مشكلة المعرفة النقدية منذ كانت في الثقافة الغربية خصوصاً) ظلت في جل أطوارها تنهض على خلفيات فلسفية خالصة ولم تكد تنطلق من خلفيات ذاتها إلا نادرا وكأن الحقل الأدبي ملك مشاع للمفكرين يتطلع إلى الخوض فيه ، والطمع فيه ، كل من شاء منهم ذلك ، وأيّان شاء[2].

---

*- مبادئ علم الكتابة (عند دريدا) وهي ستّة ذكرها "مرتاض".جملة منها: (ص:92)

[1]-فكرة العلم نفسها نشأت في عهد الكتابة.

[2]-علم الكتابة وقع التّفكير به، كما وقعت صياغته بما هو غاية وفكرة ومشروع...

[3]-يرتبط علم الكتابة بالمفهوم ومغامرة الكتابة الصّوتيَّة، ويقوم على أنه نهاية كلّ كتابة...

[4]-إن الفكرة الأكثر دقَّة للعلم العام للكتابة نشأت لأسباب لا تخضع للمصادفة، في عهد تاريخ العالم(..) وعبر نظام حدّدته العلاقات بين الكلمة "الحيّة" والتّدوين.

[5]-إن الكتابة ليست مجرَّد وسيلة مساعدة تخدم العلم.. لكنّها أولاً وقبل كلّ شيء (...)شرط لا مكان من الأشياء المثاليّة،..هي شرط للموضوعيَّة العلميَّة.فقبل أن تكون الكتابة موضوعًا للعلم، كانت شرطاً لوجود المعرفة..

[1]_عبد الملك مرتاض : في نظرية النقد ،ص 92.

[2]_المرجع نفسه: ص101.

لكن الفكر الذي يجدد نفسه ، ويثور على السائد فينتج ويرفض ، هو الفكر الكبير في نظر"عبد الملك مرتاض" وهو الفكر الذي ينتج المعرفة المستقبلية ، الذي يجب أن نغض عليه بالنواجذ، أن كان لايزال لنا نواجذ نعض بها على الفكر الرصين. [1]

هذا ، وفيما يلي نعرض لما رصده الباحث " عبد الملك مرتاض" في طبيعة النقد الاجتماعي والذي تناوله في ضوء النزعة الماركسية ، وهي تستند إلى شبكة من الايديولوجيات والافكار الاقتصادية والاجتماعية .فالعمل الأدبي ملك لبنية الفوقية (super –structures)الايديولوجية ،ودراسة النقد تقوم على ملاحظة العلاقات الجدلية مع البنية التحتية .(infra – structure) والإنسان والابداع محكومان بوسط متميز بصراع الطبقات وذلك لأن العمل الأدبي من حيث هو إيديولوجيا، وإنما هو تعبير عن رؤية العالم ، أي من جهة نظر ما حول الحقيقة ، وهو ليس عملا فردانيا وإنّما هو عمل جماعي ، فالنقد _الماركسي_ يقوم على ذوبان الفرد في المجتمع ، ولكل زمان موضوعاته العامة التي تلائم البنية الاجتماعية التي يعالج مشاكلها [2]

ويرى الباحث" عبد الملك مرتاض" أنّ النزعة النقدية الماركسية لا تعدم شيئاً من التوفيق _لرؤيتها الفنية الوسيطية_ لولا إهمالها الجانب الشكلي الجمالي للكتابة الأدبية ، وذلك بحكم قيامه على الايدولوجيا، والاهتمام بالمضمون وعدم رؤية الشكل إلاّ من خلال ، هذه النزعة هي تقابل نزعة البنيوية التي تخالفها وترفضها من خلال تطرفها ورفضها التاريخ الاجتماعي والسياسي صراحة ، وعلى رأسهم" رولان بارت"(1915_1980)،"وألان روب قريي"(1922)[3]

ويرى " عبد الملك مرتاض" أن المدرستين النقديتين البنيوية والاجتماعية على اختلافهما ظاهريا في المسالة التاريخية ، فإنهما تتفقان معا في الكفر بالقيم الروحية للإنسان ،ولذلك لم

[1] _ عبد الملك مرتاض، المرجع السابق: ص101

[2] _المرجع نفسه :ص 101.

[3] المرجع نفسه ،ص108

يجد "لوسيان جولدمان" (lucien Goldman) (1913_1970) أي صعوبة في المزاوجة بين هاتين المدرستين في بنيوية التوليدية ...

برغم اعتقاد " عبد الملك مرتاض" بفاعلية علم الاجتماع ، لكنه يرى أنه لا يجرؤ على مدارسته النص الأدبي وتحليل و تحليل سماته اللغوية ومعالجة نسوجه الأسلوبية أن علم الاجتماع لم يستطع حلّ المشاكل الاجتماعية التي جاء من أجلها ،وراح يبحث عن مجالات أخرى ليست منه وليست منها ...فبأي أداة يفهم السوسيولوجيون الأدب؟ وبأي الإجراءات يدارسونه؟

كما يميز"مرتاض" بين مصطلحي سوسيولوجية الأدب (sociologie de la littérature) والسوسيولوجية الأدبية (sociologie litteraire).فحسب ما قاله "جاك ليناريديت" أن بينهما فرقا دقيقا ، ذلك أن مفهوم سوسيولوجية الأدب تعد جزءاً لا يتجزأ من علم اجتماع الأدب نفسه وهي من اجل ذلك تجتهد في تطبيق مناهج علم الاجتماع (فيما يخص التوزيع والرواج والجمهور ،وعلى المؤسسات الأدبية ينظر إليها على أنها مناهج لعلوم الأدب ، كالمنهج الذي ينحو نحو النص ، كما ينحو نحو معنى هذا النص وتأويله .[1]

إن المدرسة الاجتماعية لم تزد النقد الأدبي إلا غناء وذلك بظهور المدارس النقدية ، الأخرى التي حين ثارت على اجتماعية الأدب استطاعت أن تثمر كتابات أدبية رصينة ومفيدة ما كانت لتكون لو لم تكن المدرسة النقدية الاجتماعية التي يمثلها بامتياز في مرحلتها الأولى أساسا "هيبوليت تين " (Hippolyte taime1828_1893) و"سانت بوف"(Sainte beuve 1804_1869) ويمثلها في مرحلتها الأخيرة المتبلورة والناضجة ، " لوكاتش" (Gyorgy lukacs 1804_1971) و "جولدمان" [2]

الذي رفض الفكرة التي تري في النصوص الأدبية إبداعات لعبقرية فردية ، وذهب إلى أن هذه النصوص تقوم على ابتية عقلية تتجاوز الفرد وتنتمي إلى جماعات (أو طبقات)محددة

[1] _ عبد الملك مرتاض ،المرجع السابق : ص125.

[2] _المرجع نفسه ،ص126.

هذه الابنية العقلية (رؤى العالم) تبنيها الجماعات الاجتماعية وتهدمها بلا انقطاع ، خلال عملية التعديل التي تدخلها على صورتها العقلية للعالم ، استجابة للواقع المتغير من حولها ، وتظل هذه الصور مفتقرة إلى التحديد والتحقيق الكاملين في وعي الجماعة أو الطبقة الاجتماعية إلى أن يظهر الكتاب العظام القادرون على بلورتها في "رؤية العالم" محددة متلاحمة الشكل[1]

ويرى"عبد الملك مرتاض "أن مسالة المضمون ، لا تمثل في نظريات النقد الاجتماعي قضية نقدية فحسب ، ولكنها كمعظم النظريات النقدية تستمد أصولها من جذور فلسفية معقدة مثلها ،مثل نظرية الشكل .....

وانطلاقا من الموقفين المتطرفين (للبنيوية والاجتماعية) لقضية الشكل والمضمون يقول مرتاض، يمكن أن ننزاح بهما نحو الوسطيّة، فنقرر أن الكتابة ، ليست شكلا خالصاً ، كما أنّها ليست مضموناً خالصاً ، ولكنها معان وأفكار مضخمة بالعواطف ومحتملة بالمشاعر تظرف في ألفاظ ،وتجلي في سمات ، وهذه السّمات اللّفظية هي التي تشكل جمالية الكتابة ، وهذه الجالية لا هي مضمون خالص كما يدعي "هيجل "(F.Hegel) وأشياعه من الماركسيين ومن معهم (لوكاتش مثلا) ولا هي شكل خالص كما يدعي "كانط" (E .kant ,1724 ,1804) وشيعته من بعده (أمثال هجلمسليف) ولكنها لا يمكن أن تتجسد إلاّ عبر هما معا .

وقد يكون الشكل هو الذي يحدّد جمالية الكتابة والفن بعامّة ،ولكنّ المضمون حسب مرتاض لا يمكن إلغاؤه منهما ،وإلاّ سقطنا في شكلانية لا ينشأ عنها في الحياة عمل ووقعنا في مضمونية لا يكون أفج منها شيء[2].

هذا جانب فيما يتعلق بالنّقد الاجتماعي ،أمّا بالنسبة للنّقد النّفسي ونزعة التحليل النّفسي (للأدب)،فبعد نحت "عبد الملك مرتاض" لمصطلح "التحلفسي" كمقابل للمصطلح الغربي

[1]_رامان سلدن: النظرية الادبية المعاصرة ،ترجمة :جابر عصفور ، دار قباء ،القاهرة ،1998،ص66.

[2]_عبد الملك مرتاض: في نظرية النقد ،ص134.

التحليل النفسّي (Psychanalyse)، والذّي يراه ثقيلا على القارئ ، ولكنّه اختصارٌ، فيه راحة وطبيعة علميةٌ ، وأبعاد للجمود والتحنيط للغتنا العربية... ،وبعد تعريفه للمنهج وأصوله وحيثيات منشئه ، التي تعود إلى العالمين النمساويين :

فرويد(Sigmund freud , 1856-1939.)و"اوطورانك" (otto.Rank,1939,1884) في دراستهما الإبداع ، والشخصيات الأدبية ذات الصيت العالمي ،والأعمال الأدبية (الشعرية والرواية)، وكذا الفنية ، نجد الناقد يعد ويري أن أرقي المحاولات وانضجها ادوات في الاستعمال المباشر لإجراءات "التحلفسي" وهي تلك التي نهض بها "شارل مورون". (charles mauron)،تحت مصطلح "النقد النفسي ". (La psychocritique).هي تلك التي قام بها الطبيب والمحلل النفساني "جاك لاكان"(jaques Lacan).الذي زعم أنه معادل اللسانيات ،وان كلا منها لم تعد غاية ماهو أدبي فقط ،بل اغتديا يستهدفان شيئا واحد اعمق من ذلك هو اللغة (Le langage)،بل أمسينا يضطنعان تقنيات متماثلة من أجل تحليل النّصوص [1].

ويوضّح "مرتاض" أنّ نزعة التحليل النّفسي تمضى مع النص افقيا، بينما المنهج اللّسانياتي يتوقف لدى الجملة توقفا عموديا ،فاختلفت الغايات لما اختلفت الوسائل والإجراءات [2].

لذلك فهي – أي النزعة النفسية– لم تبلغ ما بلغه النزعة الاجتماعية . التي نالت اقبالا كبيرا لدى المتعاملين مع النص ..لكنه مثله مثل النقد الاجتماعي تعترضه مشكلة معرفية تساور سبيل الممارسين للنقد الادبي النفسي ولكنه بدرجة أدنى ، وهي الاختلاف والارتباك وعدم القدرة بالوظيفة الأساسية التي هي أدبية جمالية خيالية قبل كل شيء ...فهم يخبطون فيما لا يتقنون من المعرفة الأدبية[3]. يعالج بعد ذلك " مرتاض "ما يربط النزعة التحلفسية بالنزعات النقدية الاخرى ،لعلاقتها والتأثير المتبادل فيها .

[1] _ عبد الملك مرتاض المرجع السابق:ص144.

[2] _ المرجع نفسه:ص145.

[3] _المرجع نفسه: ص149.

فالنقد الجديد مثلا والنقد النفسي كلا منهما يصطنع اللغة أداة التواصل إلى النتائج لكن الغاية تختلف ،فالنقد النفسي يتخذ اللغة وسيلة لمعرفة الإنسان الباطنية ،أما النقد الجديد فيتخذ من لغة الإبداع وسيلة وغاية في نفسها للكشف عن لغة لتواصل إليه يقول "مرتاض":ويزعم "أندري أكون" أن التحلسل النفسي واللساني هما أساس النّقد الجديد غير أنّ اللسانيات تمدرس اللّغة لغاية اللّغة وتدرس نظرية التحلفسي اللّغة من أجل معرفة طوايا نفس مستخدم اللغة ، وعلل هواجسه عبر استخدامها ، أمّا المهم الّذي يراه الباحث "عبد الملك مرتاض " هو إمكان وجود علاقة بين النقد الكبير وبين الاجتماعي التيني ،والنفسي الفرويدي فيما يتمخض عن المؤثرات الخارجية خصوصا فنظرية التحليل النفسي مولعة بحياة المبدع في حين لم تضع شيئا نظرية " تين" الثلاثية الأسس غير العناية الشديدة بحياة الأديب من حيث المؤثرات الخارجية ،بل من حيث أصله العقلي أساساً[1].

في نقد النظرية التحلفسية ذكر "مرتاض" وصف" أندري أكون(Andre AKOUN) بعض الاحكام المتعصبة لهذه النزعة الفرويدية التي ساقها" جاك لاكان" بالاستفزازية وخصوصا حين جعل "فريد " لسانياتيا كما ذكر " مرتاض" موقف " كلود ليفي ستراوس" من "اللاوعي" (Inconscience) الذي يعتبره فارغا من أي معنى ويرى أن نظرية التحلفسي لاتستطيع أن تكون منهجا كاملا ، متكاملا للنقد الأدبي في تمثيله هو على الأقل ولكنها يمكن أن تكون له ظهيرا في تاويله معنى بعض ظواهر النص ليس غير ...وذلك من خلال غايتها التي ليست الابداع في ذاته ولكن صاحب الابداع ، وهي سير كان الناس نبذوها كنبذ مذهب "تين" المنقرض .[2]

ويذكر مرتاض أن " جان كوهين (jean cohen) يقرّر بأن المنهجين النفسي والاجتماعي بصيرورتهما علما للأدب ،لم يجاوز قط ،في حقيقة الأمر ،مستوى مشكلة عتيقة هي مشكلة مصدر الإبداع ، وإنّهما يقومان على انقاض النقد القديم ، وإن عيب هذه النظرية

[1] عبد الملك مرتاض:نظرية النقد ،154_155.

[2] _المرجع نفسه: ص156.

إنّما تبحث عن الهدف خارج إطار النص ،من حيث هو لا يوجد إلّا داخل النص نفسه المؤلف لوحده مشكلة من دال ومدلول ..

ويرى "مرتاض" إنّ هذا الرأي فيه اتزان علمي ووضوح رؤية نقدية ،وفيه كثير من الاحترافية،(de professionnalisme) فهو يفصل بين وظيفة ووظيفة أخرى ،ومثل هذه النتائج ليست مرفوضة في علمانيتها ،وإنّما الرفض في زعمها قدرتها على تحليل الإبداع الأدبي والقول في جماليته وهي عن ذلك اعجز العاجزين. [1]

ومما تناوله "عبد الملك مرتاض" عن علاقة النقد باللسانيات ،تأكيده (الأولى) الإرتباط الوثيق بين ثلاثة عناصر هي اللغة الأدب الأسلوب ، وهي ثلاثية لسانياتية متلازمة ،متفاعلة، متكاملة تتظاهر فيما بينها لإنجاز نسيج أدبي أصله أصوات من اللّغة وسمّات من الألفاظ ،وتحدّد طبيعة العلاقة الثلاثية من خلال التعامل التلقائي والمتزامن فيما بينها ...وهذه الثلاثية ليست شيئا إذا لم يضف إليها عنصر رابع ،هو المتحكم الفاعل :وهو الكاتب الديب ،كما أنه يعسر تحديد الأهم في هذه الشبكة الثلاثية العناصر فاللغة أداة ضرورية لبناء ،ولكنها لاتستطيع أن تحيا في حقيقة الأمر بمجرد القبوع في المعاجم أو الاجتزاء بما يجري في التعامل اليومي المتبذر العابر وأنا تكون حياتها ،وتتجلى قدرة نشاطها من خلال النسج اللغوي الذي هو التقنيات المنبثقة عن نظام اللغة وعطائها الدلالي وطاقة ابداعها المتجددة ،فما نطلق عليه "النسج اللغوي "هو وسيط بين اللغة المتناثرة الالفاظ ،والاسلوب الذي يصقل اللغة في حالة مثولها الدلالي الافرادي ،وفي حالة تجليها الفني التركيبي ،ويخشي،على هذا "النسج اللغوي" أن يسف ويسقط في الإبتذالية إذا عدمه طابع شخصي عبقري يميز بناءه انطلاقا من إدراك عميق لمفهوم الفن والجمال [2].

[1]_عبدالملك مرتاض:نظريةالنقد،154_155..

[2]_المرجع نفسه: ص169.

وقد قال "عبد القاهر الجرجاني" قديما "أن الأدب فن لغوي قبل كل شيء ،وأن الإحتكام فيه يجب أن لا يخرج عن نطاق اللغة وتفسيراتها ..."[1]

فاللغة ليست مجرد أداة لملء فراغ الحيز فحسب :ولكنها حسب" مرتاض" بطبيعة وظيفتها المتسلطة من الوجهتين التوصيلية والجمالية معا تمثل في منظورنا ،قوة السلطة العنوية في هذا المقام ،إلاّ أنّ "موريس بلانشو"يزعم غير ذلك حيث يرى أن اللغة ليست سلطة وما ينبغي لها ،أي إنّما ليست سلطة لزخرفة القول وعن أثر اللغة في تشكيل الحيز الأدبي .

يقول "مرتاض" :إن الذي ينتج الحيز الأدبي ويملأ الفراغ إنّما هو اللغة فهناك حيّزية ماثلة في اللغة يطلق عليها "جيرار جنيت" (Gerard genette) الحيزية البدائية ، أو الأولية ،وهي ليست إلاّ اللغة نفسّها .ذلك بأن هذه اللغة كثيرا ما تبدوا قادرة على التغيير عن العلاقات الحيزية ،اكثر من التعبير عن أي نوع آخر من العلاقة، مما يؤهلها إلى معالجة كل الاشياء تحت مفهوم الحيز فهي إذن قادر على أن تحيز كل شيء ولا حرج"[2]

ويتناول" عبد الملك مرتاض" قضية الكتابة الأدبية بين اللغة واللسان ، فاللغة الأدبية هي الخصوصية التي يتفرد بها الاديب ، وأمّا اللسان.(La langue) فيمثل الرصيد ، أو المخزون العام لكل الذين يستعملون لغة ذلك اللسان ....واللغة الأدبية (Langage litteraire) هي التي تميز كاتبا من آخر ...وهى هذا الكلام الماثل في طريقة تمثل في جمل هي التي تميز أحدنا عن الآخرين وتجعله لا يقارن بسوائه من الكاتبين :أو يقارن به ولكن دون ذوبان خصوصية ، أو فقدان تفرده، أو فقدان جزء منها على الأقل من بين جميع الذين يكتبون أو يتحدثون داخل لغة واحدة [3].

[1] _محمد عبد المنعم خفاجة :مدارس النقد الأدبي الحديث،ص292.وينظر عبد القادر الجرجاني :دلائل الإعجاز في علم المعاني ،تحقيق :محمد عبده ،القاهرة ط3،1966،ص200.

[2] _عبد الملك مرتاض:مائة قضية ...وقضية ،ص93_94

[3] _عبد الملك مرتاض: في نظرية النقد ،ص171_172.

وفي هذا السياق يقول "رولان " :"...اللسان إذن ما قبل الأدب ،والأسلوب هو ما بعده تقريبا ،فالصور والالتقاء والمعجم تولد من جسم الكاتب وماضيه لتغدوا شيئا فشيئا اليات فن ذاتها ،وهكذا يتشكل تحت اسم الأسلوب لغة مكتفية بذاتها لا تعترف إلاّ من الميثولوجيا الفردية والسرية للكاتب.."[1].

لقد صاغ البنويون وعلى رأسهم "رولان بارط" نظرية نقدية خلاصتها أن النقد هو أيضا لغة أدبية ،ولكنه ليس لغة أدبية/موضوعا ،بل لغة أدبية مضمنة ،أو بواسطتها يقع التجاوز إلى دراسة اللغة الأدبية /الموضوع (أي النص الأدبي).وما لاحظه "عبد الملك مرتاض " أنّ "رولان بارت " يقرر أن لغة اللغة(Métalangage)لا تلبث ان تصبح لغة أدبية/موضوعا أو لغة أدبية أولى .أي أنّ لغة اللغة هنا تقوم مقام الند العنود للإبداع. أي أنّ النقد الأدبي، من خلال لغته ،وهو في الحقيقة إبداع يقوم في صف واحد مع الابداع الروائي أو الشعري. وقد ذهب "مرتاض" في رد هذه النظرية والتشكيك في سلامتها ... فهذه المسألة تتعلق بوضع الأدب في ماهيته من حيث هو ؛وذلك بغض النظر عن لغته واسلوبه. يقول " وسواء علينا أكان هذا الأدب لغة أدبية (أو إبداعا)،ولغة لغة (نقد). وليس علينا أن يستوي الإبداع بمعناه النقدي في منظور النقد الجديد ،مع الإبداع في بالمفهوم العام المتفق عليه بين التقليديين والجدد ،فيغتديا في مستوى واحد من الاعتبار . فمهما تكن الرؤية التي ينظر بها إلى أحد هذين الجنسين الاثنين ؛فإن النتيجة المنطقية واحدة .فهناك كائن موجود ؛وإذن فلا مناص من أن يكون له اسم يطلق عليه.والوجود هنا حضور فنّي .وهذا الحضور يجب أن يجاوز الماهيّة الضيّقة الزائلة، إلى النوعيّة الخلاقة الخالدة."[2]

يتساءل "مرتاض":هل النقد الأدبي إبداع حقا ؟ هل النقد لغة أدبية ابداعية أم لا ؟ وما الكتابة ؟ وكيف تكون ؟ وما الصورة المثلى لها ؟... وحين نتساءل: ما الكتابة فعلينا إن نتساءل في الوقت ذاته : ما النقد؟ فإذا اجبنا عن ماهية النقد فلن تكون إجابتنا إلا ساذجة

[1] ـرولان بارطا:الكتابة في درجة الصفر ،ترجمة: محمد نديم خشفة ، مركز الإنماء الحضاري ،حلب، سوريا ،ط 2،2002 ،ص17.

[2] عبد الملك مرتاض :في نظرية النّقد ، ص ص 179 -180

لأن النقد عالم لا يذعن لمنهج واحد ، ولا لإيديولوجية واحدة ، ولا لخلفية فلسفية واحدة ، وإذا كان من الضرورة الحكم بإيثار منهج نقدي على آخر ، فإن حتى ذلك لا يحل المشكلة مادامت ماهيته في تطور مدهش .[1]

وعن موضوع الكتابة وإشكالية انتمائها وعدم انتمائها لمبدعها ، خاصة عند البنويين الذين يرفضون تاريخية اللغة الأدبية ابتداءً من الدراسات حول السطورة يعرض "مرتاض" لآراء الكثير من النقاد الجدد أمثال "رولان بارت "،و" ناطالي صاروط " ، و"جيرار جنيت" و"روجي فايول" ، و" تودوروف" ،و" لوسيان سباغ "... ويرى "مرتاض" انها آراء لا تعدم مغالطات منطقية مما يجعل من تأسيس نظرية نقدية عليها أمرا غير مقبول ... وكيف يمكن بناء مسألة نقدية تتمخض عن جنس أدبي شعبي دون مؤلَف معروف مثل السطورة على مسالة اخرى تخلص لنص أدبي مكتوب معروف الصاحب صريح الانتماء إلى مؤلف ؟...

وفى متابعته للنقد البنيوي، وضمن جهوده في صياغة المصطحات العربية و المحافظة على خصوصيتها النحوية وسلامتها... يركز "عبد الملك مرتاض " على تصويب المصطلح الشائع "البنيوية " رافضا إياه، ومقترحا المصطلح البديل؛ وهو "بنيته على مذهب "أبو عمر بن العلاء "،أو "بنوية " على مذهب "يونس بن حبيب" وهو الأكثر إقتصادا لغويا ،و الأخف نطقا..، و يمكن العودة في ذلك إلى " سبويه "في "باب الإضافة " لتحقيق هذه المسألة و التأكد من الإستعمال السليم . و هذا الإجراء هو من باب تصحيح الخطأ الشائع ، فالناقد يرى أنّ الخطأ لا يكون حجّة لأهل الخطأ أبدا ، و الخطأ يظّل أبدا خطأ ، و لا سيّما إذا كان صادرا من أهل المعرفة. و من هو أعرف معرفة من النّقاد؟ ...

أمّا عن البعد المعرفي للمصطلح ؛ فالبنيوية مدرسة فكرية تقوم على مجموعة من النظريات التي تؤثر في العلوم الإجتماعية و الإنسانية ، دراسة البنيات و تحليلها ،ولقد عظم شأنها في الأعوام الستين من القرن العشرين ، ولعل أكبر الأعمال البنيوية في المجال النقدي هي تلك التي كتبها " رولان بارت " و" و ميشال فوكو " وتعد البنيوية قطيعة مع التقاليد الموروثة عن

[1] عبد الملك مرتاض المرجع السابق ، ص 181

الفيلسوف الألماني كانط وأهم ما تقوم عليه البنيوية من الأسس الكبرى لفلسفتها أنها تتعامل مع اللغة والخطاب وترفض الإنسان [1]

ولقد سحرت البنيوية أوروبا باعتبارها بابا من أبواب التفكير أو بوصفها تحليلا عاما للعقل يزعم أصحابه أنهم يجدون تماثلات أو تقابلات وبالذات تعارضات ثنائية في المعتقدات الأفراد و الجماعات وفي سلوكهم [2]

ويرى " عبد الملك مرتاض " أن الخلفيات التاريخية لهذا النقد كانت لظهور الرواية الجديدة الذي أثر في ظهور حركته التي جاءت لتكسر أسس وأصول النقد الذي سبقها ، فلا تاريخ ولا إيديولوجيا ولا مؤثرات فالنقد الأدبي صار عندهم أدب الأدب ، أو الكلام الكلام والنص الأدبي ليس مرجعا إلا لذاته وفي لغته أساسا

أما موقف البنيوية من التيارات النقدية الأخرى فالبنيوية يرفضون كثيرا من أصول النقد الماركسي ، و اللّانسوني ، وكذا النظريات ذات النزعة النفسية القائمة على التحليل النفسي للنص الأدبي وصاحبه فهي ثورة على نظريات الأمس الدابر فهي في عامة مقرراتها النظرية والتطبيقية معا، ترفض التاريخ ، والمجتمع والإنسان.

وعن أسس هذه النزعة يذكر " عبد الملك مرتاض " أنها تقوم على جملة الأسس الفلسفية والفكرية والإيديولوجية التي تميزها عن غيرها وتكفل لها موقفا فكريا متفردا ، ولعلّ أهم هذه الأسس . في نظر الناقد . تتمثل فيما يلي [3]

النزوع إلى الشكلية (formalisme) ، فالبنيوية لم تأت شيئا غير التعلق المفرط بنزعة الأشكال ، فعدَّت الكتابة شكلا من أشكال التعبير قبل كلّ شيء ، في حين أن اللغة ، في تمثلها ، هي أيضا لا تعدو كونها شكلاً لتعبير أو أداته ، وهي لا تحمل أيَّ معنى ، والمدلول عبرها مندمج في الدَّال

ومن أجل ذلك رفضت مضمون اللُّغة ، ومن ثم مضمون الكتابة وعدتها مجرد شكل

[1] عبد الملك مرتاض ،المرجع السابق، ص ص 183

[2] مصطفي السعدني : المدخل اللغوي في تقد الشعر ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، مصر ص 13

[3] عبد الملك مرتاض ، في نظرية النقد ، ص ص190-192

أما الدعامة الثانية التي تقوم عليها البنيوية فهي رفض التاريخ و قيمته بل موته تماما على عكس ما روجت له الماركسية (نظرية المادية التاريخية) وكل الحركات النقدية السابقة وهذه المنادات بموت التاريخ حسب مرتاض ما هي إلا إعلانا عن موت الإنسان نفسه ولعّل موت الإنسان هنا كان يراد به موت القيم التي ظل الإنسان يناضل من أجل تكريسها ، عشرات القرون ،وعن مقالة " رولان بارت "مستشهدا بنظرية التناص في بعض كتابات " جوليا كريستيفا"(julia kristiva) مقررا :«إذا كان الأدب هو تناصية ، هو " حوار كتابات " فإنه سيوجد في اللغة الأدبية كل الحركية التريخية ، لكنها الحركة التاريخية التي الزمن فيها يطل زمن الأدب نفسه ».

يقول "مرتاض ":فهذا الحديث ليس هنا، إذن اعترافا حقيقيا من البنيوية بشرعية التاريخ كما يزعم "أندري أكون " ولكنه مجرد توكيد على رفض هذه الشرعية الزمنية ، واعتبارها مجرد " زمنية أدبية " بكل ما تحمل دلالة الزمن الأدبي من معنى الأسطورة والخيال و المتخيل ، أي كل ما هو مخالف للواقع والحقيقة التاريخية ، بالقياس إلى المؤرخين على الأقل.

أما ثالث الأسس في نزعة البنيوية فهي رفض المؤلف ، وهي فكرة تعود جذورها إلىالشاعر الفرنسي فاليري(paul valery 1871-1945) وازدهرت في الأعوام الستين من القرن العشرين.. ويذكر "عبد الملك مرتاض" أن هذه الفكرة جاءت امتداداً لرفض "شرعية" التأثير الاجتماعي.ومن ثمة وضع التاريخ، بالإضافة إلى عامل آخر هو مجهولية المؤلف بالقياس إلى الأدب الشفوي، وخصوصاً الأسطورة التي كان "كلود ليفي ستراوس" قدَّم من حولها أعمالاً كبيرة، ومما يبدو "عبد الملك مرتاض" أنه وقع تسرُّعٌ لدى بعض المنظرين الفرنسيين حيث استهوتهم الفكرة بدون تأنٍ كافٍ، وراحوا يروّجون لهاّ لا بسين بين النص الشعبي المتوارث عن الذاكرة الجماعية، والنص الادبي المكتوب الذين يزعمون ان صاحبه يفقد حيازته عليه مجرد نفض يده منه، كما يمكن ان يفهم ذلك من بعض كتابات "فوكو"[1].

[1]- عبد الملك مرتاض: في نظرية النقد،ص216.

وفي هذا السياق يذكر "يوسف نور عوض" إن المؤلف يعتبر ميتا في كل من البنيوية (structuralisme) وما بعد البنيوية(post-structuralisme)، وعلى الرغم من أن موت المؤلف هو قمة الإتجاه اللاإنساني في الحركة البنيوية، فإن المؤلف ينظر إليه كعامل مساعد في توحيد عناصر النظام حتى يتم له عنصر التوازن، وذلك يعني أن المؤلف هو أدات للعناصر وليس مبدعاً لها من حيث هو الذي ينشأ النظام ومؤدى هذا القول إن المؤلف نفسه عنصر من عناصر اللعبت التي تم تحديدها مسبقاً بواسطة النظام ..."[1].

وأما الأساس الرابع الذي يذكره "عبد الملك مرتاض" في النزعة البنيوية فهو أنها على نقيض المدرسة الماركسية ترفض الرجوع الى المجتمع في تحليل الإبداع، كما تنكر تأثير المجتمع تأثيراً مباشراً في المبدع وفي إبداعه أيضاً... لقد تجرأت البنيوية على رفض التاريخ الذي يصنعه الإنسان، فضربت عصفورين بحجر واحد : فالرفض المعلن في التاريخ هو رفض في الحقيقة، لكل ما له صلة به من الإنسان الصانع لأحداثه، ومن المجتمع المتأثر بذلك، والمؤثر في ذلك أيضا. وقد أفضى ذلك إلى رفض كل القيم الروحية والإنسانية جملةً وتفصيلاً ... فالمرجعية الاجتماعية للأدب عند الكتاب البنيويين تعد من أساطير الأولين[2].

وإلى جانب رفض المرجعية الاجتماعية للإبداع، ترفض البنيوية معنوية الألفاظ وتعد اللغة مستقلة بنفسها، غير مفتقرة إلى سواها[3] ... اللغوي فالنظام اللغوي مسيطر على عناصره بحيث يستخلص نفسه من خلال العلاقات القائمة بين عناصره ...واللغة بهذه الطريقة عند البنيويين عالمٌ مستكشف أو لغة شارحة لحضارتنا، إن مهمة عالم اللغة، فيما يقول "هامسلين" هي إنشاء نظرية تكون بمثابة ضرب من " الجبر" بالقياس إلى أية لغة، أو بالأمر بالقياس إلى كل اللغات... وليست فكرة "الجبر اللغوي" سوى تعبير عن اعتقاد زعيم "دائرة كوبنهاجن" بأن اللغة هي مجرد "منظومة توافقية(تركيبة رياضية)، تكشف عن وجود "خواص شكلية " تميز العلاقات في استقلال عن المجال الموضوعي الذي تقوم فيه (تلك

[1]- يوسف نور عوض : نظرية النقد الأدبي الحديث، دار الأمين للنشر والتوزيع القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط1، 1994، ص44.

[2]- عبد الملك مرتاض : في نظرية النقد ،ص216.

[3]-المرجع نفسه، ص220.

العلاقات) ولما كانت اللغة مجرد نسق صوري فإن حقيقة أي عنصر لغوي هي بالضرورة ذات طابع شكلي محض، بغض النظر عن مظهر دلالي (سيمانطيقي)أو صوتي (فونطيقي) ما دام المحدد لأي عنصر من العناصر إنما هو القواعد المتحكمة في حضوره أو غيابه داخل المقال أو الحديث[1].

وفي هذه القضية الأخيرة (رفض المعنوية اللغوية) يرى "عبد الملك مرتاض" أن النظرية التي طبقتها المدرسة البنيوية ... قد سبق الأدب العربي إليها في التناول وهو ما ورد في مسألة اللفظ والمعنى قديماً خاصةً عند "أبي عثمان الجاحظ" (ت255هـ) الذي كان يرى بذلك (الإحتفال باللفظ وصناعته)، في مقابل الناقد "عبد القاهر الجرجاني" (471هـ) الذي يحتفل بالمعاني ويرى بفنية الأدب لغوياً أيضاً.

[1]-مصطفى السعدني: المدخل اللغوي في نقد الشعر(قراءة بنيوية)، ص13.

ثالثاً: التوفيق بين التراث والحداثة عند "مرتاض"

قبل أن نشرع في هذا المبحث من هذه الدراسة والتي تعنى بمدى الربط بين ما جاء في التراث النقدي العربي القديم ، وهو ما يوافقه (أو يقابله)في النقد الحداثي، وذلك من خلال مدونتنا المدروسة "في نظرية النقد" للناقد "عبد الملك مرتاض". نود أن ندرج بعض المفاهيم المتعلقة بموضوع "الحداثة" واشكالياتها وعلاقتها بالمعاصرة وكذا بالأصالة والتراث...

إن إشكالية الأصالة والمعاصرة والحداثة في حقيقتها لا تعود الى المصطلحات بقدر ما تعود إلى ماتعانيه من ازدواجية بين الوعي بالذات والتبعية للغرب،الشيئ الذي يطرح أمامنا عدة أسئلة حول التراث العربي والغربي بنوعيهما القديم والحديث، وكيفية الإستفادة منهما...فالقضية كما يرى الدكتور "غالي شكري" ليست في أن الحضارة غربية أم عربية، فهذه النظرة العرقية تقودنا إلى الدمار وليست القضية هي التخلي أو الإبقاء على التراث، والتمسك بالماضي أو الثورة عليه، ذلك أن التراث في وجداننا والماضي في دمائنا، والمشكلة الحقيقية والجديرة بإعادة النظر هي الحاضر والمستقبل[1].

وعن الحداثة وعلاقتها بالتراث عند باحثنا "عبد الملك مرتاض" يرى أن الحداثة العربية على خلاف أن تعني القطيعة المعرفية التي يقول بها كثير من كبراء المنظرين للحداثة، يقول:" إن حداثتنا لا تدعو إلى القطيعة المعرفية ولا ترفض التراث أو تزدريه بل تدعوا إلى إحيائه ولكن بقراءته بإجراءات جديدة، وأدوات من المنهج حداثية، لمحاولة ربط الحاضر بالماضي[2].

إن التراث العربي الإسلامي عظيم وخصب، ونافع ومنتج ولا يدع مرتاض الكمال المطلق لهذا التراث حتى يحدث الضلال البعيد، كما لا يحمله أكثر مما يحتمل في أصله، يقول :"ولكننا ننبه فقط إلى أن انعدام قراءتنا له،أو أن قراءتنا إياه كثيراً ما تكون على عجل، أو على نقص في الوعي عند بعض الناس، أو على غير احترافية وممارسة طويلة، قد

[1]- عمار زعموش : النقد الأدبي المعاصر في الجزائر قضاياه واتجاهاته،ص ص25،26.

[2]- عبد الملك مرتاض: مائة قضية ...وقضية، ص180.

تجعل بعضنا يعتقد عن خطأ بأن تراثنا هذا ضحل من المعرفة العليا وفقير من نظريات العلم القادرة على مغالبة الزمن ومقارعة الدهر..."[1].

وقراءة التراث النقدي، كما يذكر الدكتور "جابر عصفور" في دراسته التي تحمل هذا العنوان : هي عبارة لافتة للانتباه من حيث دلالتها المزدوجة التي يمكن فهمها على مستويين: أولهما المستوى النظري الذي تتصرف معه دلالة العبارة إلى وصف العمليات التصورية أو الآليات العقلية التي تقوم عليها أو تتضمنها قراءة التراث، على نحو تغدوا معه العبارة واصفة لأبعاد العلاقة التي تربط القارئ المعاصر بتراثه... وثانيهما المستوى التطبيقي الذي تتصرف معه دلالة عبارة <<قراءة التراث...>> إلى تقديم قراءة أو قراءات تطبيقية لجانب أو أكثر من جوانب التراث النقدي، موضوعاً أو نكرة أو إشكالية أو شخصية أو كتاباً ... ألخ، على نحو تغدو معه العبارة واصفةً للتراث نفسه، فالعبارة – داخل هذا المستوى الثاني– تشير إلى مجالات معرفية مغايرة، أقرب إلى "نقد النقد " من حيث هو نشاط معرفي ينصرف إلى مراجعة الأقوال النقدية كاشفاً عن سلامة مبادئها النظرية وأدواتها التحليلية وإجراءاتها التفسيرية، أو النقد الواصف(métacritique) من حيث هو تأصيل معرفي للمقولات العقلية التي تنطوي عليها المفاهيم المنهجية والعمليات الإجرائية للنقد (أو القراءة) وتصدر عنها [2].

وإذن نعود لتناول أهم ما وظفه الباحث "عبد الملك مرتاض"من معطيات التراث العربي ونظرياته النقدية ضمن متابعته لأهم المدارس النقدية المعاصرة، ورصد نظرياتها لنقف على بعض محطات التوليف والتوفيق، بحضور التراث ضمن الخطاب النقدي الحداثي...

1- لقد اعتمد الباحث– ضمن مدونته– عدة آليات كالمقارنة والتصحيح والتحقيق... وعلى سبيل المثال نجده يقابل لفظة "البراعة الإحترافية" (le professionnalisme

[1]- عبد الملك مرتاض : مائة قضية ...وقضية، ص180.

[2]- جابر عصفور: قراءة التراث النقدي، مؤسسة عيبال للدراسات والنشر، نيقوسيا، ط1، 1991م، ص11.

بالتعبير الأوربي، لفظة <<الصناعة>> بالتعبير العربي القديم ابن سلام الجمجي في مقدمة كتابه " طبقات الشعراء"، إضافةً إلى مصطلح "نقد النقد "والتأصيل له ترجمةً عن الغرب، وقياساً عن طريقة علماء الكلام والأشعرية قديماً...وكذا على طريقة الناقد عبد القاهر الجرجاني في نظرية "معنى المعنى" .

وبالرجوع إلى الصفحة(206) من المدونة التي –نحن بصدد دراستها– نقف على إشارة مصطلحية تتعلق بضرورة التمييز بين مجال <<الكتابيب>> الذي هو مجرد بثَّ معلومات للناس ومجال الكتاب الذي هو هبة الإبداع،(بالمفهوم الحداثي للمصطلح)، وهي قضية نادى بها أنصار البنيوية فيما يتعلق بالكتابة وتميز الكتّاب، وعلى رأسهم "رولان بارت" وما يهمنا هنا: يضع المصطلح لأول مرة في العربية في حدود علمه بما كتب –قياسا على المصطلح النقدي العربي القديم :<<شعرور>>. وقد ذكر "مرتاض" أنه جاء به ترجمة للمصطلح البارطي الذّي أريد به إلى التهجين وهو:<<ecrivant>> بدل : (ecrivain) يقول مرتاض: ولقد كان قدماء العرب من النقاد اهتدوا إلى تمييز المستوى الفنيَّ بين شاعر وآخر فقالوا : <<شويعر>>، و<<شعرور>>.

ويقول الجاحظ بالنصَّ: "وسمعتُ بعض العلماء يقول :طبقات الشعراء ثلاثة : شاعر وشويعر، وشعرور>>[1].

2- ومن المقارنات في الرؤى والنظريات نجد مثلاً: المقارنة بين ماهية النقد في الثقافة الغربية، وبين ماهيته في الثقافة العربية وذلك إنطلاقاً من إشكالية النقد الثلاثية: فنيته وعلميته واحترافيته ..وضمن العنصر الأخير وهو الإحترافية،يتناول "مرتاض" النقد في الثقافة العربية من باب << الصناعة>> فالنقاد العرب قديماً يدرجونه تحتها كما يشير" عبد الملك مرتاض" إلى قضية مهمة جداً يوجزها في أنَّ"ابن سلام" كان هو السباق إلى اصطناع مصطلح <<الناقد>> معترضاً على ما نصه مؤرخو الموسوعة العالمية الفرنسية

[1]-ابن رشيق : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق: عبد الحميد هنزاوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، 2004م،ج1،ص ص 114-115.

اللسان التي ودَّت النَّقد الأدبي العربي إلى "ابن قتيبة "، ناسيةً أو متناسيةً "ابن سلام الجمحي (139-231هـ) وكذلك جهوده في النقد والتنظير والتأليف ومما سبق فيه وضعه أسساً مبدئية للنقد تمثلت خصوصاً على

أ- الزمان

ب-المكان

ت-التفردية (وهو ما يعرف بالفن الأدبي عند محمد مندور) [1].

وأما شروط الناقد فقد حددها "ابن سلام" في بعض الأسس منها :

1- التجربة: الدُّربة وطول الممارسة للقراءة ة النقد، والشعر...

2- القدرة على تمييز النصوص: وهي مرحلة متطورة من مراحل التجربة ، فطول الممارسة والتجريب يجعل الناقد قادراً على التمحيص، والتمييز للنصوص.

وأما عن قدرة "ابن سلام " على التفسير والتعليل فقد تناولها "عبد الملك مرتاض" من خلال كتابه <<طبقات فحول الشعراء>>وطريقته في التصنيف ، وكذا اختيارات الشيخ من النصوص الشعرية لأهل الطبقة المتحدث عنهم ...، وانصرافه إلى الشكل قبل المضمون رغم سواد القاعدة الشعرية :<< ما حسن لفظه وجاء معناه ...>> ...إلى غيره من التحليلات والتفسيرات من خلال الكتاب [2].

أما عن قضية "الشكلانية العربية"التي أطلقتها الموسوعة العالمية أصلاً ترجع إليه" الشكلانية الروسية " فقد أبدى "عبد الملك مرتاض"معارضة لهذا ، ذلك لأن السبق "لابن سلام" في التنظير من جهة ولأن "ابن قتيبة" كتب تأملات لا ينبغي لها أن ترقى إلى أن يطلق عليها مطلق"الشكلانية العربية"، وذلك بأن الشكلانية الروسية إنما قامت بناءً على تأسيس مدرسة نقدية نظر لها طائفة من ألمع النقاد الروُّس، منهم "ياكبسون" و"شكاو فسكي"[3].

[1]- عبد الملك مرتاض: في نظرية النقد ،ص38.

[2]- المرجع نفسه: ص42.

[3]- المرجع نفسه: ص37.

- وعن شكلانية ابن قتيبة وحداثيته ، فإن "عبد الملك مرتاض" تناولها من خلال كتابه : "الشعر والشعراء".

- وتتجلى شكلانية "ابن قتيبة " –في نظر مرتاض– من خلال رفضه عامل الزمن أو مبدأ السبق التاريخي لتطور الأدب ، وذلك على أساس أن جودة الأدب لا ينبغي لها أن ترتبط بالضرورة بالسبق الزمني للشاعر، بحيث يمكن أن يكون المتأخر أجود من المتقدم ... والمعيار الذي يُحتكم إليه هنا هو الجمال الفني ، وهو ما يحمله النص تدقيقاً لا ما يتمتع الناص من سمعه وذكر، وتقدمة وسبق.وهنا يظهر جلياً رفض الشيخ التعصب للقديم على حساب الجديد الجيد من الشعر [1].

- وأما حداثية "ابن قتيبة" فتنهض –حسب مرتاض– على أساس أن كل جديد في زمانه سيغتدي قديماً بمضي الزمن عليه ، وذلك بأن كل قديم كان في عهده حديثاً ...فالمدار إذن على الموهبة والعبقرية ،ى على تقدم الزمن، وسلفية العهد ... كما حاول الشيخ –ابن قتيبة"– الحديث عن العوامل التي تبعث على قول الشعر ، وهي فكرةٌ كان هو أول من افترعها ، ولم يزد النقاد من بعده على أن ردّدوها بحرفها ، ... لاحظ "مرتاض" أيضاً أن كلام "ابن قتيبة"عن أمثل اللحظات التي يكتب فيها الشعر، إن كلامه يمكن أن يرقى إلى مسعى الكتابة النقدية التنظيرية ،حيث يؤسس الشيخ للأوقات التي يمكن أن تكون أمثل من سوائها للكتابة الأدبية شعرها ونثرها .

وفي نظر " عبد المالك مرتاض " ربما قد يكون "ابن قتيبة" هو أول من أثار في الأدب العربي مسألة القديم والجديد برؤيته الحداثية .وهي ليست جديدة في فكرنا النقدي الحاضر فحسب ، ولكنها مسألة تمتد إلى جميع الآداب العالمية ،قديمها وحديثها[2] .

[1]- ينظر: ابن قتيبة الدينوري : الشعر والشعراء ، تحقيق:مفيد قميحة ومحمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ،2005م، ص ص10-11.

[2]عبد المالك مرتاض في نظرية النقد ، ص :58

وفي تناوله مسألة النقد الجديد بين القراءة والتحليل يرى الناقد " عبد المالك مرتاض" إن الكتابات العربية القديمة عرفت أطرافا صالحة من نشاط القراءة والتحليل ، وهو ما يتمثل في الشروحات الأدبية التي الفت حول " حماسة ابي تمام" ولعل اهمها اطلاقا عمل المرزوقي والتبريزي ، وكذا المعلقات وكذا قراءات دوان المتنبي التي فاقت خمسين مرة ... ألا إن الجهاز المعرفي القرائي للأجداد – يقول "مرتاض" – كان بسيطا لا يجاوز المستويين اللغوي والنحوي ...

وعن قضية " اللفظ والمعنى " التي عرفت في النظرية البلاغية القديمة فقد قابلها " عبد الملك مرتاض بمسألة الثنائية التي انتهى إليها " دي سوسير " في اللسانيات البنوية ، وهي ثنائية الدال والمدلول ، ليجعلها بديلا اجرائيا ، في قراءة النص ومعالجته ...[1]

وفي فصله الرابع ومتابعته للنقد الاجتماعي ، يذكر " عبد المالك مرتاض " تصور علم الاجتماع لقضية الكتاب من حيث هو بضاعة فكرية تتحدد بالوزن والحجم واللون والشكل ، ومن ثم الترويج ؟ وهو يقارن في هذه المسألة بما كان في التراث العربي والإسلامي يسمى بمصطلح : " الرسائل " (رسائل الجاحظ مثلا) وكذا مصطلح " الكتاب " ومصطلح " المقالة " ، ويفصل في احجامها مقارنة بما عند الغربيين على عهدنا الذين لم يكادوا يلتفتون إلى التمييز بين حجم الكتاب (ما جاوز مائة صفحة) وحجم الرسالة (ما كان بمقدار أربعين صفحة أو خمسين)، والمقالة (التي تقل عن حجم الرسالة ...[2]

وفي فصله الخامس يعود الناقد "عبد المالك مرتاض " للحديث عن قضية المقولة العربي " لكل مقام مقام" فتراثنا العربي الاسلامي – حسب "مرتاض " – لا يعدم اطرافا من عناصر التحيل النفسي (الحديث)المنصرفة خصوصا إلى طبيعة الموضوعات التي يتناولها الأديب ، ومن خلال القول العربي الشهير " لكل مقام مقال " يقول مرتاض": "ومعنى هذه

[1] عبد المالك مرتاض ،المرجع السابق، ص 90

[2] المرجع نفسه ص : 121

المقولة يتمحض لنظرية التلقي ، والحال التي يكون عليها المتلقي ومراعاة كل الملابسات التي تحيط به ، لكى يفهم الرسالة المبثوثة اليه ، فإن ذ لك لا يمنع من إقحامه في طبيعة " التيمات " التي يجب ان تقدم للمتلقي)[1].

وفي هذا السياق نذكر على سبيل المثال – لا الحصر – بجهود ابن طباطبا " العلوي (ت 322هـ) وماقدمه من خلال عياره في الشعر من التحليل العميق ، ويعد النظر ... فقد ركزعلى تقديم رؤية جمالية متقدمة كثيرا قياسا الى عصرها واحسن في الربط بين (الذات) و(الموضوع) في علّيّة الادراك الجمالي ... كما يربط به ايضا موقف النفس ومقامها التي هي فيه ... يقول .."فان النفس تسكن إلى كل ماوافق هواها ، وتقلق مما يخالفها ولها أحوال تتصرف بها ، فإذا ورد عليها في حالة من حالاتها مايوافقها اهتزت له ، وحدثت لها أريحته وطرب وإذا ورد عليها ما يخالفها قلقت وأستوحشت".

وأمّا عند " حازم القرطاجني " (ت 684 هـ) ؛ فهو يتصور في نقده ان الشعر وسيلة للتأثير في النفوس وتحريكها نحو امر من الامور قبولا او رفضا .

يقول :" فتحرك النفوس للأقوال المخيلة إنما يكون بحسب الاستعداد ، وبحسب ما تكون عليه المحاكاة في نفسها : وما تدعم به المحاكاة ، وتعضد مما يزيد به المعنى تمويها والكلام حسن دباجة من امور ترجع الى لفظ أو معنى او أسلوب)[2]

على قول المتنبي (303-355هـ) :

إنّما تنجح المقالة في المر ء إذا وافقت هوىً في الفؤاد[3]

[1] عبد الملك مرتاض ، في نظرية النقد ،ص :148

[2] علي عيسى العاكوب : التأليف النقدي عند العرب ، دار الفكر دمشق، سوريا ، ط1 ، 1997 م ص 198

[3] أبو الطيب المتنبي : ديوان الشعر ،دار صادر ، بيروت لبنان ، ط 1،2006 ، ص 299

يقول "عبد الملك مرتاض " : وقد كان العرب حراصا على تناول الموضوعات التي ترتاح النفس الإنسانية إليها وخاصة شعراء الجاهلية الأولى ، وما ابتدعوه بإيناس النفس وايلافها بالنسيب بإمرأة من النساء ...[1]

ولضيق مساحة وقت هذا المبحث ،ولعديد مواطن ونقاط المقارنة أو التوفيق بين قضايا النقد القديم والنقد الحداثي ، نكتفي فيما بالمسألة الأتية وهي : توفيق الناقد " عبد الملك مرتاض " فيما ذهب إليه " أبوعثمان الجاحظ " (ت 255هـ) قديما في رأيه فيما يتعلق باللغة الأدبية عند الأديب (منذ اثني عشر قرنا)، وذلك حين ذهب إلى أن :" المعاني مطروحة في الطريق يعرفها (...) وإنّما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء وفي صّحة الطبع وجودة السّبك"[2]. ويذكر"عبد الملك مرتاض " أنّه قد كان ذهب هذا المذهب نفسه الناقد الفرنسي "جان كوهن " فزعم ان« ليس الشاعر شاعرا بما يفكر أو يحس ، ولكن بما يقول » . فكأن الأدب في راي" الجاحظ "و" كوهن" على ما بينهما من بعد الدار وتنائي الأعصار ، هو اللغة المنسوجة على نحو معلوم قبل الأفكار التي تطرح فيها[3].

من خلال ماوقفنا عليه من بعض مواطن التأليف بين التراث والحداثة عند عبد الملك مرتاض "إن الرجوع إلى الماضي و محاورته وتوظيفه في الحاضر الراهن لا يبدوا عيبا ولا عقدة فكرية ،بل على العكس من ذلك إنه يخلق مزيدا من التفاعل البنّاء ، والنتاج المعرفي الجديد والمفيد.

[1] عبد الملك مرتاض :في نظرية النقد ، ص 148 .

[2] ابو عمرو الجاحظ : الحيوان ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار مصطفي البابي الحلبي بمصر ، ط2،1965 م ،ج 3 ص ص ،131 ،132 .

[3] عبد الملك مرتاض : المرجع السابق، ص 175.

رابعا: نقد النقد عند "عبد الملك مرتاض"

النّقد نقدان – كما رأينا سابقا –عند الباحث "عبد الملك مرتاض "وهما: النّقد النظري؛ مجاله البحث في أصول النظريات وفي جذورها المعرفية و خلفياتها الفلسفية..والنّقد التطبيقي الذي يمثل ثمرة منثمار النقد النظريفهو يزوّده بالأصولو المعاييروالاجراءات ..أمّاثالث النقود فهو صنف متجاوز لهذين النقدين هو مايكون نقدا لهما أو نقداعنهما أيماهومتداول اليوم تحت مصطلح" ..نقد النقد"(Méta –critique)[1].

وقبل الخوض في هذا المصطلح وما يتعلق به عند الباحث نوّد فقط أن نشير إلى أنّ خطاب نقد النقد لم يحظ باهتمام كبير من الباحثين و"لا من قبل البحث الجامعي مثلما حظيت به الدراسات الأدبية الأخرى وربما لاتقتصر هذه الظاهرة على البحث الجامعي العربي فقط وإنّما هي ظاهرة أيضا في الدراسات الأدبية الحديثة بل إن قراءة كتاب على كتاب لاتثير اهتمام القرّاء كثيرا سواء في أدبنا العربي أو في بعض الآداب الأخرى كما يرى تودوروف في كتابه :"نقد النقد".[2]

ومن هذا المنطلق نرى أن مساهمة "عبد الملك مرتاض" في هذا المجال ومن خلال مدونته التي نحن بصدد دراستها و تخصيصه لفصله الثامن في "نقد النّقد" نراه من قبيل الاجتهادات التنظيرية الفاحصة البناءة التي تخدم النقد العربي في بلادنا – خاصّة– وتزيد صرحه ،مراجعة وتأسيس او تأصيلا بالإضافة إلى تزويد الطلاب ومريدي النقد عدّة و زادا نقديا وثقافيا متنوعا.

وحرصا من الباحث "عبد الملك مرتاض" على تناول المصطلح و اشكالياته المعقدة باحثا عن آليات متعددة ووسائل علمية مختلفة لصياغته راغبا في إخراج المصطلح العربي القديم من رتابته مع الحرص على مسايرته المصطلحات اللسانياتية الغربية ثم اقتراح حلول

[1] ينظر:عبد الملك مرتاض،في نظرية النقد،ص50، 53.

[2] لخضر العرابي:مفهوم نقد النقد عند علي حرب،جامعة قاصدي مرباح،ورقلة ،الجزائر
reviues.univourgla.dz/index.php/numèro-11-2011/666-2013-05-

مناسبة وضوابط علمية ذات كفاءة لغوية تنظيرية...[1] ففي هذا الإطار و ضمن هذا التّصور الفكري يتناول الباحث مصطلح نقد النقد (métacritique)بشيء من التأصيل و الضبط لمفهومه استعمالا ومناقشة و تحليلا ، مشيرا بذلك إلى إشكالية مهمّة تتمثل في كيفية ترجمته و صياغته بإيجاد المقابل العربي المناسب لما يحمله المفهوم في الثقافة العربية فالباحث من المؤمنين المعتقدين بأن جدلية التفكير الأصيل المتجدد يكون في حسن تمثّل قطب التراث و الحداثة و كيفية الافادة منهما و التعلّق بهما [2].

يرى "عبدالملك مرتاض"أن استعمال "نقد النقد" كماهو متداول في اللغة النقدية العربية الجديدة و ذلك انطلاقا من التنظيرات النقدية الغربية الجديدة أيضا، يقوم على أصلين اثنين كلاهما جائز الاستعمال فأما الاستعمال المبتذل فهو (critique de critique)وأمّا استعمال المقصور على لغة العلماء فهو(méta critique)ويرى أنّ معنى سابقة(méta)ذات الأصل الإغريقي كما يذهب إلى ذلك معجم روبير التعاقب و التغيير و المشاركة في حين أنها تعني في الفلسفة و العلوم الإنسانية غير ماتعنيه في العلوم الطبيعية ذلك بأنها تعني في مصطلحات تلك العلوم مايمكن أن يعني "ماوراء"أو "مابعد" أو "مايجاوز"أو "مايشمل" بالقياس إلى شيء من الأشياء أو علم من العلوم[3].

وقد تتعدى دلالة "الميتا" حسب الباحث إلى معان أخرى كانضياف شيء إلى شيء أو علم إلى علم آخر أثناء المهامشة و المجاورة ،فيلتحق شيء بشيء أو يتسرّب علم في علم وذلك لاقتضاء العلاقة المعرفية فتصبح اللغة التي تتحدث عن اللغة مثلا بمثابة هذه اللاحقة الاغريقية التي تضاف إلى علم ما ...وهنا يتساءل "مرتاض": فهل نقول للّغة الثانية "ماوراء اللّغة"أو "ما بعد اللّغة" وهو الاستعمال الجاري ،أم يجب أن نبحث عن إيجاد معادل لهذا التعبير،أو مقابل لذلك المعنى بمصطلح آخر؟.

---

[1] مولاي علي بوخاتم:الدرس السيميائي المغاربي،ص241

[2] عبد الملك مرتاض :(أ،ي) أين ليلاي ،ص10.

[3] عبد المالك مرتاض،مائة قضية ...وقضية ،ص53.

لا يرى الناقد باستعمال مصطلح "ماوراء اللغة" و كذا "مابعد اللغة" ترجمة أو مقابلا للمصطلح الأجنبي(méta– langage)لأن معنى اللاحقة هنا يفيد التعاقب ،ويقترح لذلك بديلا هو مصطلح "اللغة الواصفة" أو اللغة "الحاوية"أو حتى "لغة اللغة"أو "كتابة الكتابة" والمصطلحان الأخيران هما من اقتراحه.. ويتساءل الباحث عن العلّة التي دفعت بتودوروف إلى تنكب مصطلح(méta– critique)وهو الاستعمال الجاري في لغتهم عنوانا لكتابه الذي ترجمه سامي سويدان إلى "نقد النقد"(critique de la critique).

وما يلاحظ من خلال ما اقترحه "مرتاض" من مصطلحات وكذا مما رفض استعماله (أو تساءل في شأنه) أنّه يستلهم التراث العربي الإسلامي و يوظّف مصطلحاته فنقد النقد قياسا على طريقة علماء (الكلام) الأشعرية في صياغة مصطلحاته من مثل "زمان الزمان" و "زمان زمان الزمان"إذا أرادوا إلى تراكب الأزمنة و اتصالها...أو كما كان "عبد القاهر الجرجاني" اصطنع لأول مرة في العربية مصطلح "معنى المعنى" وهذه السّيرة حسب الباحث هي التي يصطنعها النقاد –المنظرون الغربيون – وذلك حين يقولون في اللغة الثالثة التي تتراكب مع اللغة ثانية(Méta – métacritique).

فهذه السّابقة إذن من بين ما تدّل عليه التعاقب،فيكون"نقد النقد"أو(Méta – critique) واردا بمعنى النقد الثاني الذي يكتب عن الأوّل و قياسا على ذلك "نقد النقد" مثلا، فالعبارة مركبة واردة بمعنى النقد الثالث الذي يجيء أو يمكن أن يكتب عن الثاني ... وهذا التركيب إنّما يفيد التعاقب لا الأفضلية التي تظل حسب الباحث شأنا آخر[1].

وإذا كان النقد يتخذ من العمل الأدبي موضوعا له فإنّ هذا النقد يصبح موضوعا في نقد النقد .وكأن الباحث يذهب إلى القول أنّ النقد الذي يعتبر لغة واصفةً للغة واصفةٍ . غير أنّ هذه اللغة تمتلك قدرة على ضبط موضوعها من خلال لغة تسعفها على الوقوف على كيفية

[1] عبد الملك مرتاض :في نظرية النقد ،ص223.

اشتعال اللغة النقدية الأولى .وعليه :فإنّ خطاب نقد النقد ينتج لغته حينما يقوي على تأطير موضوعه بأدواته النظرية و المنهجية و المصطلحّية التي تميّزه عن الخطابات الأخرى [1].

ويرى "عبد الملك مرتاض"أنّ مصطلح "نقد النقد" في اللغة العربية قد يفهممنه أنّه يعني النقد الثاني يسعى إلى نقد النقد الأول الذي يكتب عنه بنيّة الغمز و التهجين و بدافع النّعي و التنقيص وهو أمر غير وارد في أصل المفهوم الغربي القائم على استعمال السّابقة الإغريقية التي تعني الاحتواء ،و الإيعاء أو المجانبة و المهامشة دون أن تعنى على وجه الضّرورة بتسليط الضوء على النقائص المنهجية و الضّحالة المعرفية فكلّ نقد يكتب عن النقد الأول ثانيا أو ثالثا أو حتى رابعا (أي الرابع يكتب عن الثالث) ليس بالضرورة أن يكون من أجل المعارضة و المناوءة ولكنّ وظيفة "نقد النقد" تكمن في إلقاء مزيد من الضّياء على أصول المذهب النقدي و تبيان أصوله المعرفية ،و توضيح الخلفيات التي تستمّد منها مرجعياته :على المستويين المعرفي و المنهجي جميعا...لكنّ"نقد النقد" العربي المعاصر– حسب "مرتاض"– يتم غالبا بإبداء المعارضة لموقف نقدي على نحو ما ،و قلما يتسامى إلى البحث في أصول المعرفة النقدية على نحو منهجي عميق ولعلّ ذلك يعود إلى أن العالم العربي على عهدنا هذا يمتلك نقّادا كبارا، ولكنّه لا يمتلك نقدا كبيرا وممّا يلاحظه "عبد الملك مرتاض" أنّه كثيرا ما يصادفه من الكتابات النقدية في الشرق وفي الغرب في القديم و في الحديث تمارس موضوع نقد النقدلكن دون أن تدرج نشاطها تحت عنوان (نقد النقد) على الوجه الصّريح ولم يكن ذلك صراحة في الكتابات النقدية إلاّ مع عمل (تزيفيتان تودوروف) المترجم إلى العربية (نقد النقد)إضافة إلى بعض مقالات (رولان بارت)في كتابه مقالات نقدية (éssaies critiques)[2]

وقد يتبادر إلى الذّهن سؤال أشبه بما ذكرناه في المبحث السّابق حول الفرق بين القراءة و النقد وهو :ما الفرق أيضا بين مصطلحي(قراءة القراءة) (méta– lecture)

[1] لخضر لبعراني :مفهوم نقد النقد عند على حرب .

[2] عبد الملك مرتاض :نظرية النقد ،ص228.

و نقد النقد (méta– critique) –وذلك طبعا– من منظور مرتاض؟ يذكر لخضر العرابي أنّ الباحث "عبد الملك مرتاض" يجري في حديثه عن ماهيّة القراءة ووظيفتها مقارنة بينها وبين النقد ،فالنقد يختلف اختلافا طفيفا عن القراءة وهما على التقارب متباعدان وهما على التشابه مختلفان فالقراءة حرّية وتحرّر جمالية النزعة قبل أي شئ آخر في حين أنّ النقد مسؤولية وموقف ينتهض على خلفية فلسفية أو إيديولوجية من كتابة ما أو اتخاذ موقف من موقف ناقد، سابق كان قد اتخذه هو من هذه الكتابة(نقد النقد) و قد يكون النقد تحليلا لكن على خلفية فلسفية واضحة المعالم دقيقة الإجراءات... في حين أنّ تحليل القراءة التي هي تحسّس و تلطّف و تقبّل ينتهض على الذّوق اللّطيف واستلهام الجمالية الرقيقة التي استقى منها النص المعالج .... و ‘‘قراءة القراءة ‘‘حقل يتمحض لمتابعة نشاط القراءات التي تمارس على النص الأدبي و النقد –بل نقد النقد –لايعمد تحليله ولكن إلى التعليق عليه في الغالب أو إصدار أحكام حوله ،أو موقعته...فالنقد مسؤلية وموقف...ورصد للتناص،ومتابعة وموقعة للتأثر...على أن حين أن القراءة في حدّ ذاتها تناص صراح مع قراءة سبقتها من أجل أن تعوم فيها وتذوب ،أو تقوضها لتطنّب على آثارها قراءة جديدة،في حين أن نقد النقد تنظير وتقرير :حول تنظير وتقرير سبقاه...[1]

وانطلاقا من إيمان "مرتاض" بالممارسات النقدية العربية القديمة، وبالطبع لن ينكر أحد بأن النقد لا يمكن أن يكون ،ثم لا يكون حوله نقد نقد،بل لقد أثرى المعرفة النقدية العالمية وأضاف إليها معرفيا وجماليا، وسواء كان ذلك في إطار الاتجاه الأوّل.أم في اطار الاتجاه الآخر.

وعليه يتوقف "مرتاض"على نص كتبه النقد العربي"علي بن عبد العزيز الجرجاني"يتصنّف في حقل "نقد النقد" وذلك في معرض دفاعه عن "أبي الطيّب المتّنبي "من خلال كتابه (الوساطة بين المتنبي وخصومه) ولعّل "الجرجاني"، – حسب الباحث–،أول من اصطنع مصطلح "السّرقات" وبلور مفهومه في النقد العربي القديم،فتحدث عنه ،وأرسى

[1] لخضر عرابي :المدارس النقدية المعاصرة ،دار الغرب للنشر والتوزيع.2007،ص298، 299

مبادئ من أسسه وتوّسع فيه حتى اختصه بحيز واسع من تفكيره ..[1]كما اجتهد في إثبات نظرية مخالفة للنظرية السائدة آنذاك فقد أثبّت "الجرجاني" أن هناك أفكارا مشتركة بين الناس في قدمائهم و محدثيهم وأن هناك أمورا يمكن أن تنضوي فيما يجوز أن يطلق عليه **توارد الخواطر**...ويرى "عبد الملك مرتاض" أن كتابة الجرجاني النقدية من هذه الزّاوية كانت ممارسة متقدمة في التبشير بنظرية التناص التي لم تتبلور في الفكر النقدي الغربي الجديد إلاّ في أواخر القرن العشرين.[2]

ومن خلال متابعتنا لنص "القاضي علي عبد العزيز الجرجاني" الذي اقترحه "مرتاض" في مدوّنته التي نحن بصدّد دراستها نقف فعلا على تحليل نقدي بارع للمباحث يصل فيه إلى كثير القضايا و النظريات العربية في "نقد النقد"وأصوله وآلياته فالقاضي "الجرجاني" في تنظيره المبكّر يكشف عن فكر ثاقب وذكاء خارق يقول "مرتاض": فيستنبط من حيث لا يشعر نظرية حديثة هي نظرية التناص فهو ينسج حول نقد سابق في الزمان ثابت في الوجود،ويبنى عليه ، كما أنّه يناقش الناقدين السابقين أو المعاصرين (المتشددين في مسالة السّرقات الشعرية).[3]

في هدوء ورصانة،يلقّن خصمه درسا في أخلاقيات الرأي ،وأصول النقد.متقبلا للرأي الآخر ،ناصحا لخصمه أن يأتي هو أيضا ذلك:(« غير أن لخصمك حججا تقابل حججك ،ومقالا لا يقصر عن مقالك »)وذلك حتى يمكن توسعة دائرة المعرفة، وإثراء روافدها.[4]"والعلم لا يراجعه إلاّ أهله ولايصحّح أخطاءه إلاّ من احترفه.وليس بقادر على تصويب مسيرة العلم من كان معترضا على وجوده أصلا.[5]وأهم ما استنبطه ولاحظه "عبد الملك مرتاض"هو عدم تمييز النقاد المدّعين للسّرقة الشعرية على جملة من كبار الشعراء وخصوصا أبو الطيب المتنبي وفصل الناقد البارع "علي بن عبد العزيز الجرجاني" بحنكة في

[1]عبد الملك مرتاض في نظرية النص الادبي ،ص233، 299

[2]عبد الملك مرتاض،في نظرية النقد،ص231.

[3]المرجع نفسه ،ص233

[4]المرجع نفسه ،ص234

[5]عبد السلام مسدي،الأدب وخطاب النقد،ص244

تلك المسألة لكلا الطرفين من خلال (ثم اعتبرت ما يصحّ فيه الاختراع والابتداع فوجدت منه مستفيضا متداولا متناقلا لا يعد في عصرنا مسروقا ،ولا يحسب مأخوذا).وهي دعوة للنقاد بالتوجه إلى الغربلة والتبّصر والتمييز بين طبائع الأشياء والفصل بين ما يمكن أن سرقا شعريا صراحا ،وبين ما يطلق عليه في النظرية السيميائية (حديثا)مصطلح: "التناصية"l' intertextualité.

لقد لاحظ "عبد الملك مرتاض" إن الجرجاني يبدو من خلال نصه متناولا لفكرة "نقد النقد"بصورة مباشرة ممارسا ليها بحيث يقع الاحتجاج للرأي الجديد أثناء محاولة دفع الرأي النقدي السابق.[1]

ويعرّج الباحث- بعد ذلك-إلى العصر الحديث يتناول تجربة عربية أخرى في "نقد النقد" لدى الناقد المصري "طه حسين" الذي هز الأدب العربي المعاصر هزا قويا ،فرسم بصماته على وجهة، وترك لمساته على صفحته....فرغم انصباب أعماله النقدية على الكتابات الأدبية المصرية واقتصاره عليها فإنّ ذلك في نظر الباحث لا ينقص من قيمة جهوده النقدية فتيلا.ويتوقف "عبد الملك مرتاض"عند مقالة "طه حسين "يوناني فلا يقرأ"، وهي تدرج ضمن نقد النقد ،واعترض فيها الكاتب على ما كان كتب"عبد العظيم أنيس"و "محمود أمين العالم"وهما صاحبا كتاب"الثقافة المصرية"الصادر سنة 1955، والذي أثار نقاشا واسعا لدى المثقفين العرب كما شكل في الوقت نفسه حصيلة، معركة هامة من معارك الأدب والنقد الأدبي الحديث ،بدأت في الأربعينيات ولم تنته إلا مع نهاية السبعينيات ، وظلت آثارها قائمة حتى الآن في المعارك الجديدة التي تتمحوّر حول الالتزام الاجتماعي للأدب.[2]

ولقد كان اعتراض "طه حسين"عليها من حيث أمرين اثنين :

[1] عبد الملك مرتاض،في نظرية النقد،ص235

[2] عمر عيلان:النقد العربي الجديد(مقاربة في نقد النقد)،منشورات الاختلاف،ط1. 2010، ص189.

أولهما من حيث الحدود الدنيا من المعايير التي تتيح للمتلقي أن يفهم عن الباث، وأنّ على البّاث أن يراعي شروطا معينة لتبليغ رسالته للقارئ وإلاّ اغتدت ألغازا غامضة، وطلاسم مشكلة.

وآخرهما :تناول قضية الصّراع بين القديم والجديد .

بدأ"عبد الملك مرتاض"يتناول إشارة الناقد "طه حسين"في مطلع المقالة إلى السياق التاريخي لعبارة "يونان فلا يقرأ"في الثقافة اللاّتينية المتخلفة ،حيث كان التعليق بهذه العبارة في القرون الوسطى على كل مدبّج بالإغريقية منبوذ...،

فالناقد حين قراءته مقالة الناقدين الاثنين عجب كيف لم يفهم عنهما ما يكتبان ...ألقصور فيه أم لإقصار منهما؟...لقد قرأ"طه حسين "المقال ثلاث مرات ولم يستطع فهم ما يريدان ،حينها ردّ العيب والقصور إلى نفسه ،و ببراعته الأدبية- يقول "مرتاض"- لم يرد" طه حسين "أن يجعل العيب فيهما على الوجه الصريح ولكنّه لمح إلى وجود العيب فيه ، مع الإيحاء للقارئ في سخرية بادية بأن العيب في الحقيقة في الناقدين الاثنين لا فيه...،وفي ذلك إشارة ضمنية لهما أن المتلقي لم يفهم عن الباث الذي لم يراعي شروط التبليغ فهما كانا يكتبان شيئا لم يكونا يفهمانه، والآية على ذلك أن "طه حسين"لم يستطع فهم ما كتب ،وهو من أفهم الفاهمين ولا يعقل أن لا يفهم "طه حسين"نقدا يكتبه معاصروه ،وفي بلده وباللغة العربية : ثم يقصر عن فهمه .وليس يعني ذلك ،- يقول الباحث- : إلاّ أنّ هناك خللا فكريا ....يعود إلى جملة الألفاظ والمصطلحات الملغزة ،وربما يعود ذلك أساسا إلى الأفكار المطروحة من غير فهم معرفي لدى الكاتبين...

ويرى "عبد الملك مرتاض "أنّ"طه حسين"كأنه يتّهم- في مقالته الاعتراضية هذه –أربعة أطراف :الطرفين الاثنين اللذين كتبا، والطرف الذي تلقى وكتب يناقش مبديا أنه فهم الرسالة المرسلة (ويقصد عباس العقاد)،والطرف الرابع الذي كان واسطة بين المرسلين والمتلقي معا،وهو الصحيفة التي نشرت المقال الغامض(ويقصد صحيفة"المصري").

يقول "مرتاض":وما يمكن أن يستخلص أنّ طبيعة هذا الكلام الغامض لا توحي إلا بعبارة المثقفين اللاتينيين ،أثناء القرون الوسطى ،وهي قولهم:"يوناني فلا يقرأ" .

ويبدو "عبد الملك مرتاض " مؤيدا نقد "طه حسين "من خلال إبداء رأيه في نقصان الفقرة النقدية التي كتبها"عبد العظيم أنيس"و"محمود أمين العالم " للدّقة على أكثر من مستوى ،ومن خلال النقد المتوازي مع نقد "طه حسين"،ونوجزه في بعض النقاط أهمها:

1-أنّ المقال من حيث استعمال المصطلح،فاللغة النقدية للناقدين ،كأّنها لم توفق في إيصال ما تقصد تبليغه ،والمصطلح النقدي غير متبلور ،ومادة العمل الأدبي تفتقر إلى الوضوح، وكذا مصطلح"العمليات " الذي هو مصطلح عسكري أو طبي وليس نقديا .

2-من حيث التأسيس المعرفي ،فالنص غير متين ولا عميقة و لا واضح الارتكاز إلى أي تيار نقدي...

3-يقرر الناقدان وجوب تدخل الذوق العام في وقوع الظاهرة الأدبية وتحققها،في حين هما يتهمان "طه حسين"بأنه انطباعي يعتمد على الذوق في تحليل الأعمال ،وهذا تناقض صارخ في أفكار المقال ...[1]

ومن خلال معالجة"عبد الملك مرتاض"لمقالة "طه حسين"،ومتابعة حيثياتها تتأكد حقيقة "نقد النقد"العربي الحديث وطبيعته ،فهو يتعامل مع النقد انطلاقا من طبيعة الرؤية التي كثيرا ما تكون ضيقة الأفق بسبب التقليد للنظريات الغربية ...كما تتبين أيضا شجاعة وحنكة الناقد "طه حسين "في هذا الاتجاه من النقد...وكما تبدو انطباعيته ،تبدو أيضا عقلانيّته المتشبّعة بالمنهج الشكّي الدّيكارتي "فقد عاش سنين طويلة يدافع عن حرّيته ويتمسّك بما اقتنع به..ونادى به من حرية الفكر وحرّية النقد والقول ،وبحرية العقل المطلقة ،فهو لا يتصور أديبا غير حر ".[2]

[1] عبد الملك مرتاض،في نظرية النقد،ص236، 242

[2] فؤاد مرعي :النقد الأدبي الحديث،منشورات كلية الآداب، 1981، ص118

وبعد تناولنا لتجربتين عربيتين في "نقد النقد"عند "مرتاض"،نعرج فيما يلي على تجربتين غربيتين في "نقد النقد"إحداهما ،"لرولان بارت"والأخرى للناقد "تزفيتان تودوروف".

1-يركز الباحث "عبد الملك مرتاض"من خلال مقالات الناقد الفرنسي "رولان بارت " لاسيّما مقالتاه : "النقدان الاثنان "و"النقد"على تناول مقاصد وموقف "بارت" وكذا رؤيته النقدية بشيء من التحليل من خلال متابعة عرضه لمسألة تعامل الناس مع النقد خاصة في فرنسا،وذلك إزاء نوعين من النقد هما:"النقد الجامعي" الذي ينهض في الأساس على المنهج الوضعي الموروث عن "لانسون" والنقد القائم على اصطناع التأويل (une critique d'interprétation) .. ويذكر "بارت" أنه يوجد بين النقدين الاثنين علاقات ووشائج تقارب بينهما أكثر مما تباعد، فأساتذة الجامعات الذين يمارسون النقد الإيديولوجي لا يرفضون في جملة من الأطوار على الأقل ،الكتابات النقدية التي يكتبها المثقفون حيث ما أكثر ما يتشاكل النقدان الإثنان معا ،فإذا الجامعيون يعترفون بمكانة النقد التأويلي .

ويرى " عبد الملك مرتاض"أنّ "بارت"من خلال مقاله يعمد إلى كتابة وصفية ،فوقية تبدأ خارجية ،ثم تنتهي داخلية ..،فمن خلال استنطاق الباحث للنص (المقالة)وتفكيك عناصره وتحليله ...توصّل إلى أنّ غاية "بارت"من كتابته عن الضربين الاثنين من النقد :أن النقد التأويلي فيمارسه عامة المثقفين والأدباء ،وأمّا النقد "الوضعاني" فيمارسه الأساتذة الجامعيون في المؤسسات الأكاديمية العليا،وأن "بارت"لم يستطع إخفاء إيديولوجيته في الدعوة إلى البنوية والنزعة الشكلانية ،فإحساسه في عدم بلوغ غايته في مسألة النقد الايدولوجي القائم على التأويل دفعه إلى طرح المسألة في مقاله الثاني "ما النقد؟"وذلك بغيّة التوسع فيما أوجزه في المقالة الأولى ...بتعميمه ووتأكيده –من جديد ومرة أخرى –أنّ النقد الفرنسي تطوّر تطورا كبيرا انطلاقا من أربع فلسفات كبرى هي :الوجودية (l' existentialisme)التي كان يمثّلها "جان بول سارتر"،والماركيسية ،ونزعة التحليل النفسي (la psycanalyse)،والبنوية

(le structuralisime)أوالنزعة الشكلية المتأثرة بالنموذج اللسانياتي الذي بناه "دوسوسير"وتوسّع فيه"رومان ياكبسون".[1]

ومما لاحظه "مرتاض" أن "بارت"بعد أن يتحدث عن أصول النقد الفرنسي ويعيده إلى روافده الأربعة ،يترك ذلك ليعود إلى تعريف النقد الأدبي من وجهة نظره.

وبطريقة ذكية يرى "مرتاض"أنّ "رولان بارت"يوجه قارئه إلى النقد البنيوي الشكلاني فيتحدث عن حقيقة اللغة ،لا عن الحقيقة بالمفهومين التاريخي ،أو الفلسفي،وفي ذلك– يقول "مرتاض" –تدرّجٌ بالقارئ في شيء من الاحترافية النقدية البارعة إلى أن الكتابة ليست إلا مجموعة من السّمات التي تشكل ما يطلق عليه"اللغة" ،فاللغة إذن هي أساس المعرفة الادبية التي ليست أولا وأخيرا إلاّ اللغة.

ولما كان النقد هو ايضا ينحصر موضوعه ونشاطه حول اللغة فهو لغة ثانية واصفة للغة الأولى ...فلاشيء يوجد من حقيقة خارج اللغة ،بغض الطرف عن كونها لغة ،موضوعا (Langue objet)،أو لغة واصفة (Métalangage).

ويرى "مرتاض" أن "بارت "يدعو ويمارس توجيها من طرف خفيّ لما يجب أن يكون عليه النقد الحداثي ،ومن ثمة نقد ماعدا ذلك ودفعه من الذهن .هو ذلك الذي يتوقف لديه فيحلّله بعد أن ألفاه يعزف عن تحليل الأسس النقدية للنزاعات النقدية الثلاث الأخرات :الوجودية،الماركسية والتحلفسية.[2]

وفي هذا السياق نلاحظ أن "مرتاض" يبدو متقاربا مع "جان كوهن" في نقده الذي يختلف مع النقاد الجدد ،ومنهم "رولان بارت" الذي يرى أنّ النّقد :(كلام يساق حول كلام آخر)،[3]وأنّه في الحقيقة إبداع يقوم في صف واحد مع الإبداع الروائي أو الشعري.[4]

[1]عبد الملك مرتاض،في نظرية النقد،ص 243، 246.
[2]المرجع نفسه،ص 246، 247.
[3]المرجع نفسه،ص 160
[4]المرجع نفسه،ص179.

هذا ما يتعلق عن تجربة "نقد النقد"عند "رولان بارت" من منظور "عبد الملك مرتاض"وفيما يلي نتناول تجربة أخرى في كتاب :"نقد النقد" لصاحبه"تزفيتان تودوروف".

يرى"عبد الملك مرتاض" أن الناقد "تودوروف"من أوائل من اصطنع مصطلح "نقد النقد" صراحة ومنحه الإطار المنهجي ،ورسخ له الأسس المعرفية من خلال كتابه"نقد النقد" الذي ترجم إلى العربية ببيروت.[1]

لقد أعاد "تودوروف"النظر في حركة "النقد الجديد"والموروث الشكلاني ناقدا ،ومشككا ومقّوما ،وذلك في سيرته النقدية "نقد النقد" واضعا ما أسماه "بالنقد الحواري"بديلا .[2]

ومصطلح "الحوار"في الممارسات النقدية يأخذ دلالته من كونه نقطة تلتقي فيها مقاصد الناقد بالمقاصد المضمرة للنصوص ،ضمن سياق ثقافي معين ،مما يفضي إلى ضرب من التفاعل يصطلح عليه في الأدبيات النقدية "القراءة".

والقراءة –من منظور "تودوروف"–هي"مسار في فضاء النص ،مسار لا ينحصر في وصل الأحرف بعضها ببعض من اليمين إلى اليسار ،ومن أعلى إلى أسفل ،وإنما هو يفصل المتلاحم ،ويجمع المتباعد،وهو على وجه التدقيق يشكّل النص في فضائه لا في خطيّته .[3]

يستهل "عبد الملك مرتاض "متابعته لكتاب "نقد النقد"بعرض ما تناوله "تودوروف"من عناوين فصوله الثمانية، التي تبين له منها أن "تودوروف" لم يكن يريد أن ينتقد مذهبا بعينه ،بالمعنى الحرفي لمصطلح النقد في نزعته التقليدية على الأقل،ولكنه كان بصدد تقديم رؤي شاملة أو واسعة الأبعاد على الأقل ،ومن وجهة نظر فكرية خاصة عن تيارات نقدية عالمية أثرت فسادت،ثم قل تأثيرها...فتناول الشكلانية والبنوية والوجودية والواقعية،ومعظم التيارات النقدية التي كان لها شأن في القرن العشرين:انطلاقا من حركة الشكلانيين الروس ،إلى بنوية "رولان بارت"،أي على مدى سبعين عاما على الأقل. [4]

---

[1] عبد الملك مرتاض،في نظرية النقد، ص248.

[2] تزيفيتان تودوف:الشعرية ،شكري المبعوث و رجاء سلامة ،دار بقال للنشر،دار البيضاء ،المغرب،ط2,1990،ص6

[3] عبد اله ابراهيم:الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة،الدار العربية للعلوم ناشرون،بيروت،لبنان،ط1، 2010،ص57.

[4] تزيفيتان تودوروف: المرجع السابق،ص22.

لكن "مرتاض"يلاحظ أن "تودوروف"على مستوى الواقع يبدي شيئا من المعارضة الشديدة لكل مذهب ينتقد الشكلانية الروسية أو يتجانف على البنيوية الفرنسية ،وهو ما يعني تعصبّه للبنيوية والنزعة الشكلانية مثله مثل "بارت"–في النموذج السابق –وهو ما يلمسه "مرتاض"من خلال تخصيص "تودوروف "لفصل كامل (هو الرابع من كتابه نقد النقد)يحوي اتهاما "لمخائيل باختين"(M. baktine1975-1895)وكتاباته النقدية والمنتقدة للشكلانيين: فالمذهب الشكلاني يقول "تودوروف"على لسان "باختين":هو مذهب جمالية مواد البناء لأنه يختزل مشاكل الخلق الشعري إلى مسائل لغوية؛وهذا تشيئ ومادية لمصطلح "اللغة الشعرية "،فقد أهمل الشكلانيون المقومات الأخرى لفعل الخلق(الإبداع)والتي هي المضمون ،أو العلاقة بالعلم والشكل...ومن طرف خفي –يرى "مرتض" –أن " تودوروف "يعمد إلى الدفاع عن هذه الشكلانية إزاء اتهامات "باختين"وذلك بالبحث عن نقاط الضعف في ثقافة "باختين"وعصره ووسطه الثقافي ،فيزعم أن "باختين" أكثر شكلانية منهم،إذا أعطينا من جديد "للشكل"معناه الكامل " كتفاعل ووحدة مختلف عناصر العمل ...[1]

وهذه الفقرة– الأخيرة – تقودنا للحديث –بعض الشيء–عن طبيعة حركة الشكلانية الروسية و منطلقاتها التنظيرية ...وأوّل ما نبدأ به ونشير إليه :"مخائيل باختين" كان واحدا من رؤوس حلقة موسكو اللغوية (1920، 1915)،ثم تبرأ منها بعد ذلك نتيجة انتمائه السياسي ،واختلافه الفكري ؛حيث كان يحاول المصالحة بين الشكلانية والماركسية (وكان منظرا للأدب ومؤرخا له).[2]

وأمّا قضية "الشكل "(form)،فقد كان مصدر نعت خصوم الشكلانيين الروس لهم وهي تسمية لم ترق لهم برغم ملازمتها لهم واشتهارهم بها .ولطالما شكا الشكلانيون منها وحاولوا التنصل منها وإيجاد تسمية بديلة لها ، لكنهم فشلوا على ما يبدو في كل ما حاولوه .لقد أريد بهذه التسمية احتقار دعاتها وإظهارهم بمظهر من يناصر الشكل وينشغل به على حساب

[1] عبد الملك مرتاض، في نظرية النقد،ص250

[2] فيكتور ايرليخ: الشكلانية الروسية، ترجم و الولي محمد، المركز الثقافي العربي،بيروت،لبنان،ط1، 2000، ص71

المضمون ،مما رأوا فيه ظاهرية لا تخلوا من سطحية...ولقد سموا أنفسهم "مورفولوجيين "،وعملوا بل ألّحوا على استقلال علم الأدب ،وشددوا على الأثر الأدبي وأجزائه المكونة "والأثر الأدبي هو مكمن خاصّية الأدب ، وليس الإحالة النفسية للمؤلف ،كما يرى"فيكتور ارليخ"(V.ERLICH)،فمما انتهى إليه الشكلانيون في أنّ ما يميز النصوص الأدبية من سائر الأنظمة الاجتماعية والفكرية هو بروز شكلها "وأن موضوع علم الأدب ليس الأدب ولكن "الأدبية "(La litératture)أي ما يجعل من أثر ما أدبيّا ،وإذا كانت الدراسات تريد لنفسها صفة العلمية ، فعليها أن تجعل من الوسيلة موضوعها الوحيد .وعليه يركز الشكلانيون على اللغة ودورها في العمل الأدبي .[1]

ويذكر "مرتاض" أن "تودوروف"يرى أنه في الوقت الذي سيطر فيه الشكلانيون الروس على الساحة الأدبية كان" باختين"طامحا لتحقيق مكانته كمؤرخ ومنظر للأدب فلم يتح له ذلك، والحال هذه أن يظهر إلى جانب الشكلانيين الروس في النقاش الأدبي والجمالي ؛فكان عليه تحديد موقعه منهم ! ...

وعليه –يقول تودوروف– كتب في هذا الموضوع بعض ذلك في مقالتين اثنتين الأولى:نشرها عام 1924 تحت عنوان :"نظرية الرواية وجماليتها" ،والأخرى نشرها عام 1928 بعنوان: "المنهج الشكلي في الدراسات الأدبية " (Methode formelle en études littéraires).

وما يجده "مرتاض" أن "تودوروف" –بعد ذلك –يموقع "باختين" موقعة تاريخية وثقافية وإيديولوجية ،لكي يلم بسائر أطراف مكونات ثقافته النقدية ،للوقوف على مدى صدقه في تناول المذهب الشكلي وانتقاده ومدى توفيقه في ذلك ،وصدقه أم كان مدّعيا راغبا في مكانة له بين الشكلانيين الروس .[2]

ويختم "عبد الملك مرتاض" فصله الثامن والأخير من مدونته التي نحن بصدد دراستها بشيء من الحديث عن موقف "تودوروف" حول صديقه "رولان بارت". ويرى أن"تودوروف" لا

[1] صالح هودي ،النقد الادبي الحديث ، قضاياه، ومناهجه، ص174، 175.

[2] عبد الملك مرتاض،في نظرية النقد.ص251

يجد أي حرج في الإقرار بصداقته هذه لبارت ،لكنّ ذلك لا يعني أنه لن يكون موضوعيا في تقدمة فكره النقدي من خلال كتابه :"مقالات نقدية " ،وخصوصا المقالة التي أثار "مرتاض" حولها النقاش في التجربة الأولى السالفة الذكر والموسومة بـ (النقدان الاثنان)...

ومما لاحظه "مرتاض" هو لجوء "تودوروف" إلى تخصيص فصل كامل لنقد "باختين" وحده ،بينما يقف فصلا واحدا على ثلاثة مفكرين من النقاد الفرنسيين هم: (جان بول سارتر ،وموريس بلانشو ،ورولان بارت)... ويستنتج "تودوروف" بعد أن يورد كل الحمولات الثقافية الأوروبية والعالمية التي تأثر بها "رولان بارت" في كتاباته ،فيحكم بأنّ مجموع هذه الأفكار والآراء يجب أن لا تعطى أهميّة زائدة عن الحدّ ... فإذا كان اعتبار هذه الجمل معبّرة عن فكره ،فإنّ مجمل النصوص تكشف أنّ الأمر ليس كذلك أبدا ،لأنّه يتبيّن أنّ "بارت" يغيّر موقفه باستمرار ،وأنّه يكفيه أن يصيغ رأيًا كي يفقد الاهتمام به ،وأنّ هذا التغيير المستمر لايفسّر ببعض الاستخفاف وإنّما بموقف مختلف تّجاه الآراء " .[1]

فمن المميزات الكبرى في المسار النقدي والفكري "لرولان بارت" أنّه يرفض أنّ يصنّف في خانة ثمّ يغلق على نفسه الأبواب. شأن كثير من النقاد والمفكرين ،فهو ينشد المعرفة أنّى وجدها فيفيد منها في إعادة صوغ أفكاره...

يقول "عبد الملك مرتاض" معلّلا أنّها تعود إلى الرّوح "المفتوحة" التي وهبها "رولان بارت" من وجهة وإلى كثرة القراءات المتنوعة التي كان يدمنها ،وإلى المناقشات والمحاورات وكذا المحاضرات في مختلف النوادي العلمية .

إنّ "بارت" يغيّر موقفه باستمرار فهو متقلب من منهج إلى آخر وذلك لموسوعيّة فكره ووعيه بقصور منهج ما أو تجاور رؤية ،أو نظرية ما ،ولقد كان بنويا ثم تحوّل عنها إلى السيميولوجيا ...

وما نصل إليه –في ختام هذا المبحث– هو أنّ "مرتاض" يرى أنّ نقد النّقد" شكل معرفي مكمل للنقد ،ومهدّئ من طوره وضابط لمساراته ،وهو معقد بتعقيد ثقافة الناقد ،وتعقيد

[1] عبد الملك مرتاض، في نظرية النقد،ص253.

تجاربه وممارساته القرائية ،وهو ليس اختلافا مع المنقودين ،بل هو إضاءة للأفكار وتأثيل لمصادر المعرفة ،فوظيفة نقد النقد –عند "عبد الملك مرتاض"– لا تقل أهمية عن وظيفة النقد نفسها ،وسيظل نقد النقد يتطور ما ظل النقد الأدبي نفسه في سيرورة نحو الأفضل متطورا..[1]

وإذا كان النقد صنو الأدب وجناحه الإبداعي الثاني فإنّ نقد النقد من الأهمية والضرورة للنقد ،ما يجعل منه خطابا ناصحا ضابطا للمسيرة النقدية في الأدب .

[1] عبد الملك مرتاض، المرجع السابق،ص254.

خاتـــمة

خاتمة

إنّ خاتمة بحث ما تعني تكوين نظرة حول موضوعه ،والخلوص إلى نتائج ونقاط مضيئة فيه ... وفيما يلي بعض ما انتهينا إليه :

- من خلال تتبّع جانب من المرجعيّات التراثية والحداثية للناقد عبد الملك مرتاض " وعلاقته خصوصا بالموروث النقدي العربي القديم، لاحظنا بل وقفنا على حقيقة مفادها ما نادى به الناقد (وأمثاله من المخلصين العاملين في المجال النقدي)من العودة إلى التراث واستثماره ؛ قراءةً واستنباطا وتوظيفا وتناولا ... فهو لا يقّل أهمية ورفدا ، ولا ثقافة وفكرا ،تماما كما الفكر الحداثي الرّاهن ...

-يصنع التراث العربي القديم الرجال والمفكرين ،كما تصنع الحداثة ذلك ،بل لعل التراث يكون هو المنطق الأول ، وخير مثال : نموذج الناقد الجزائري كان محور بحثنا "عبد الملك مرتاض" ، فمن خلال مؤلفاته العزيزة المتنوعة ؛ بطل عجبي ووقفة على سبب غنى تجربته وخصوبتها والذي مردّه إلى الانفتاح على الماضي التراث العربي انفتاحا واعيا كما الانفتاح بوعي على الثقافة الغربية المعاصرة

-إن النتاج الفكري يعني المتلازمة الرباعية الآتية :

التراث /الحداثة /الناقد/النّقد : فما يلزم واقعنا النقدي المضطرب بحسب اعتقادنا –غير النقد القح الفاعل والذي هو محصّلة تنظير الناقد القُح واستثماره في معطيات التراث والحداثة وبالتالي :نتاج معرفي فاعل...

- النقد الأدب الأدبي لاحق لمجال الأدب ،فهو ببساطة يمثل موضوعه وحقل تطبيقاته ،فالفكرة النقدية المزدهرة حتما نتيجة لازدهار الحركة الأدبية وبنائها ...

إنّ مفهوم النقد وماهيته حقيقة عويصة التمييز معقدة تعقيدا قراءة الكاتب وكتابة القارئ النّاقد ....وعليه بات النقد –على ما يبدو – ثقافة السؤال وكذا المساءلة هذا عموما ...أمّا على صعيد الواقع النقدي العربي الراهن ،فقد بات التساؤل والحيرة وحتمية وحتمية المراجعة ضرورة خاصة على المستوى المنهجي (منهجيا ومنهجيةً) .

-غياب المدرسة النظرية العربية المعاصرة هاجس مؤرق ومحيّرٌ لعبد الملك مرتاض ،فالسّاحة الثقافية متوفرة على نقاد متألقين حاضرين ! ولكن النقد غائب !

-يبدو " عبد المالك مرتاض "ممارسا لنشاطه النقدي وفق مستويين (لغتين) هما :

أ-مستوى فكري وصفي يتناسب ولغة مرتاض النقدية المعرفية الاصطلاحية

ب- مستوى إبداعي يتناسب ولغة مرتاض الفنية والإبداعية الراقية.

- النقد في متصور مرتاض إبداع فني ثانٍّ وتشريح النص مهما استند إلى الموضوعية ، تظهر فيه ذاتية الدارس ...وغليه فتشريح النص إبداع حتمّا

-إبداعية النقد تبقى نسبية في مقابل الإبداع المتناول (النص الأدبي) ، فهي إبداعية ثانية تابعة" من الإبداع الأدبي الأول ، فالنقد كتابة ثانية عن الكتابة الأولى النص الأدبي).

لا يمكن فهم النظرية النقدية بدون أن تفهم النظرية الأدبّية،فالسؤال عن ماهية النقد هو سؤال آخر- في الوقت نفسه –عن ماهية الأدب ...

-النقد إنتاج لمعرفة منضبطة ضمن مناهج ،يصنف حسب "مرتاض"إلى ثلاثة أصناف :نقد نظري موضوعه أصول النظريات وخلفياتها المعرفية والفلسفية ...ونقد تطبيقي موضوعه ترجمة النظريات وقدها على حسب النصوص الأدبية أمّا النقد الثالث فهو "نقد النقد" وموضوعه النقد الأول).

- النّقد درجة وسطى بين العلم والفن والاحتراف خصوصا

- دعا "عبد الملك مرتاض بالتهجين وضرورته في تأسيس النظريات من أجل التوصل إلى الحقيقة المعرفية ...

- تعاقب المناهج النقدية وتسلسلها التاريخي وتجدّدها ،يعني عند"عبد الملك مرتاض" أنّها ضرب من المعرفة المفتوحة ...وثبات المنهج أو معياريته لا يعني إلا جموده وقصوره عن مواكبة التطور المعرفي .

يميل "مرتاض أي التركيب المنهجي في دراسة النصوص ..ولا يؤمن بالتلفيق بأحادية المنهج بل يؤمن بفكرة« اللاّمنهج » وهي الدخول المحايد إلى النص مجرّدا من الآليات المنهجية

الصّارمة لمواجهة النّص مواجهة مرنة تتظاهر بتناول "مرتاض"أهم المدارس النقدية المعاصرة ، راصدا لها من كل الزوايا،فهو يعرض للمدرسة تاريخيا ويغوص في جذورها و ماضيها ،كما يتناولها وصفيا بالتفسير والتحليل في مبادئها وأسسها ،ومنطلقاتها وغاياتها الإيديولوجية ،متناولا طبيعة العلاقات بينها ، وكذا مواطن التلاقي والاختلاف،انه يموقع كل مدرسة موقعها الحقيقي من النقد ، ويقدم للقارئ رؤى نقدية متميزة بأسلوب تحليلي جرئ "وتعرية" لكثير من الحقائق المحتجبة ...

– لا يبدو ذوبان الناقد"مرتاض" في الثقافة الغربية رغم تشبعه بها كما تبدو مقدرته على محاورة النصوص النقدية التي تتعامل معها محاورة جادة وجريئة مستندة إلى رؤاه وأفكاره الناضجة عن ممارسة طويلة وتطبيقات عدة ، وكذا الاتكاء على مخزون ثقافي واسع ،

– ليس النقد في منظور "مرتاض" فلسفة ؛فهو ذو طبيعة رؤيوية ،وهو يجنح للاستعانة بالإبداع والتطبيق عليه (من حيث هو نشاط ذهني خيالي يبرر أدبيته) ،في حين إن الفلسفة ذات طبيعة عقلانية تجريدية لا تجنح إلى ذلك .

– يقع «جاك دريدا" ،رائد النقد التفكيكي ،حسب "مرتاض" في فخ التنظير الفلسفي المجرّد والمتكئ على الماركسية والفرودية والنيتشية .

تستند المناهج ‘من منظور مرتاض‘ إلى خلفية معرفية ظاهريا لكنها في حقيقتها يستند إلى الإيدولوجية .

يرى عبد الملك مرتاض أن الإبداع العظيم ما يكون أصلا في تأسيس النظرية ،أو ميلاد مذهب جديد .

المدرستان النقديتان البنيوية والاجتماعية على اختلافها ظاهريا في المسألة التاريخية تتفقان معا في الكفر بالقيم الروحية للإنسان .

السوسيولوجية الأدبية تعد مناهج لعلوم الأدب ،بينما سوسيولوجية ،الأدب تعد جزءا ،لا يتجزأ من علم اجتماع الأدب .

تتقاطع مناهج النقد النسقيّة على اختلاف منطلقات وأهدافها في أنها تلتمس حقيقة النص الأدبي من خارجه ؛وعليه اقتصر "مرتاض «على تناول المنهج الاجتماعي والمنهج النفسي والشيئ نفسه ينطبق على النقد النسّقي (الحداثي) الذي تشترك مناهجه في دراسة النص من داخله ،وعليه اقتصرت متابعة "مرتاض " على رصد النقد الشّكلاني والبنيّوي والتفكيكي.

يؤسّس "عبد الملك مرتاض" للمصطلحات النقدية ،فهو يتناول مصطلح "نقد النقد" بإرجاعه إلى حافرته الغربية والعربية ،ثم بيان مفاهيمه ووظيفته ،وهو ما لاحظناه ولمسناه من خلال فصله الأخير في مدوّنته «في نظرية النقد".

ملحق

ملحـــــــق

1- النظرية النقدية THEORIE CRITIQUE

الأسس والقواعد التي تهدف إلى قراءة الأثار الأدبية قراءة بيانية ولغوية ودلالية وتحاول في الوقت نفسه فتح الطريق امامفضاءات التأويل ، لجعلها حرة اما العديد من القراءات المختلفة

2-منظور PERSPECTIVE

زاوية معينة يرى الناقد او الباحث من خلالها الاثر الادبي ويمكن أن تكون هذه الزاوية أجتماعية ، أو نفسية ، أو لغوية لو بلاغية أو علمية

3- النقد الادبي : CRITIQUE Littéraire

شكل منأشكال المعرفة العليم ، هدفه إضاءة وتفسير شروط إنتاج الأثار الأدبية، ومهمة الناقد في ظل هذا التعريف ان يقرأ الأثر قراءة لغوية وفنية ويحدد لهم مكانا داخل النظام الإنتاج الأدبي عن طريق الإستعانة بمفاهيم وفروض علم اللسانيات ، فالنقد الأدبي يجعل من الآثار مجالا لبحوثه ، وهذه الآثار ترتبط إرتباطا وثيقا باللغة ، حتى إن لم تكن هذه الأثار لغة في حد ذاتها.

4-النقد الجديد: nouvelle critique

حركة نقدية تدعو إلى التخلي عن البحث عن المعايير في الأثار الأدبية وتعتبر أن وظيفة النقد الحقيقية هي فهم وتفسير المؤلفات الادبية عن طريق تحليلها وفق المعايير الشكلية واللغوية والعلمية .

5-النقد الادبي الاجتماعي socio critique:

دراسة النص دراسة جدلية تنطلق في البدء من البنيات الادبية الدالة، يليها مرحلة البحث عن علاقة هذه البنيات ببنية فكر فئة، أو جماعة إجتماعية معينة تعيش في ظروف متشابهة تاريخية واقتصادية ، أو هي دراسة النص جماليا واجتماعيا ، عن

طريق تحديد طبيعة العلاقة بين الأثر وبنية الفكر وبنية الوسط الإجتماعي خلال الزمن .

6-النقد النفسي: psycocritique

إحدى إتجاهات النقد الحديث ، هدفه ان يحلل لغة النص الأدبي ، ليصل على مخبآت النفس اللاشعورية للكاتب عن طريق دراسة شبكة الاستعارات والصور البلاغية المضمرة في بنية الأثر وهذا الاتجاه يجمع بين الاسس النفسية والأسس النقدية ، ليقف على حقيقة منطق اللاشعور من خلال لغة النص ولغة اللاشعور

7- تحليل نفسي أدبي :Analyse psychologique littéraire

إرتياد عالم الرمز في الأثر دون إقتصار على دراسة عالم الواقع وعالم الخيال ، انطلاق من لغة اللاشعور في النص وإعتبارها بنية لاجوهر وبالتالي حديث او مقال

8-البنيوية: stucturalisme

منهج فلسفي وفكري ونقدي ، ونظرية للمعرفة تتميز بالحرص الشديدعلى التزام حدود المنطق والعقلانية ويتأسس هذا المنهج على فكرة جوهرية مؤداها:

ان الإرتباط العام لفكرة أو لعدة افكار ، مرتبطة بعضها ببعض على اساس العناصر المكونة لها في ضوء نظام منطقي مركب ، وفي النقد تعني محاولة التوحد بين لغة الاثر الادبي نفسه باعتباره نسقا يتالف من جملة عناصر لغوية وشكلية.

9- لغة أدبية : langage littéraire

مصطلح يستعمله الناقد ، للدلالة على لغة رمزية متعددة الدلالات ثرية المعاني في كل مجالات استعمالاتها الخاصّة .

10-بنية: **structure**

مفهوم يشير الى النظام الذي تتحد كل أجزائه بمقتضى رابطة تماسك تجعل من اللغة مجموعة منتظمة من الوحدات او العلامات التي تتفاضل ويحدد بعضها بعضا سبيل التبادل .

11-الشكليون **formaliste:**

فريق من النقاد الروس يدعو إلى التخلي عن المناظير السوسيولوجية ،أو النفسية أو التاريخية ، عند دراسة الأدب ويرى ضروري التركيزعلى شكل واللغة في الأثر الأدبي بإعتبارأن هذين العنصرين هما اللذان يشكلان الصورة .

12- تفكيك النص **déconstruction du texte:**

قراءة النص الادبي قراءة واسعة ، ومتغيرة حسب الإنطباع الفردي الذي يستخلصه القارئ ومعنى النص وفق هذا الفهم معنى لانهائي مفتوح لا يرتبط بالزمن بالتاريخ الذي يعيشه القارئ ووظيفة القارئ هنا ليست إكتشاف النص بل إعادة كتابته على ضوء خواطره الانشائية الرومانسية.

13- تأويل : **Herémeneutique**

مفهوم يشير على تفسير الإشارات النصية ، باعتبارها عناصر معبرة عن النص وعن الحضارة التي ظهر فيها وهذا المفهوم شائع في بحوث ودراسات النقاد والباحثين الذين يعتمدون في اعمالهم على نظرية التلقي والقراءة المفتوحة

مصادر

ومراجع البحث

المصادر والمراجع

1) أ. ي دراسة سّميائية تفكيكية (اين ليلاي) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،1992م.

2) ابراهيم عبد اللّه: الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة الدّار العربية للعلوم ناشرون،بيروت،لبنان،ط2010،1م.

3) ايرليخ فيكتور: الشكلانية الروسّية، ترجمة الولي محمد، المركز الثقافي العربي ،بيروت ، لبنان ،ط1، 2000م.

4) بارت رولان : الكتابة في درجة الصفر، ترجمة محمد نديم خشفة، مركز الانماء الثقافي ، ط1، 2002 م.

5) بن زايد عمّار: النقد الأدبي الجزائري الحديث ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، وحدة الرغاية ، الجزائر، 1990م.

6) بوخاتم مولاي علي :الدرس السميائي المغاربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2005م.

7) تاوريرت بشير: الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة، والنظريات الشعرية ، عالم الكتب الحديث ، إربد، الاردن ،ط1، 2010م.

8) تزفيتان تودوروف: الشعرية ، ترجمة شكري المبخوت ورجاء سلامة ، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ، المغرب، ط2، 1990م.

9) الجاحظ أبو عثمان عمرو: الحيوان ،تحقيق عبد السّلام محمد هارون ،نشر مصطفى البابي الحلبي ،مصر ،ط2 ،1965م.

10) جمعة حسين : المسبّار في النقد الادبي ، دار الفكر ، دمشق، سوريا،ط1، 1997م.

11) حجازي سمير سعيد:قضايا النقد الادبي المعاصر ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، مصر ، ط1، 2007م.

12) حجازي سمير سعيد: اشكالية المنهج في النقد العربي المعاصر ، دار طيبة للنشر والتوزيع، مدينة نصر ، القاهرة، دط ، 2004م.

13) حمود ماجدة : علاقة النقد بالابداع الادبي ، منشوات وزارة الثقافة ، دمشق، سوريا، 1997م.

14) حمودة عبد العزيز: المرايا المحدبة(من البنيوية الى التفكيك)،عالم المعرفة ، الكويت ،1998م.

15) خفاجي محمد عبد المنعم : مدارس النقد الأدبي الحديث، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة، ط1، 1995م.

16) الدينوري ابن قتيبة :الشعر والشعراء،تحقيق وضبط مفيد قميحة ومحمد أمين الضناوي ،دار الكتب العلمية ،لبنان ،ط2005،2م.

17) الربيعي محمود : حاضر النقد الأدبي ،دار المعارف،مصر ،ط2،د س.

18) رمّاني ابراهيم : اواق في النقد الأدبي ، دار الشهاب ، باتنة ، الجزائر ، ط1، 1983م.

19) زايد علي عشري: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، دار الفكر العربي ، مدينة نصر ، القاهرة ، 1997م.

20) زعموش عمار : النقد الأدبي المعاصر في الجزائر، قضاياه واتجاهاته ،مطبوعات جامعة منتوري ، قسنطية ،الجزائر، ط1، 2001م.

21) السّد نور الدّين: الأسلوبية وتحليل الخطاب(دراسة في النقد العربي الحديث)،دار هومة للطباعة والنشر ،الجزائر ،دط،2010م،ج1.

22) سعد الله محمد سالم : مدخل الى نظرية النقد المعرفي المعاصر، عالم الكتب الحديث ، اربد، الاردن ، ط1، 2013م.

23) السّعدني مصطفى: المدخل اللغوي في نقد الشعر (قراءة بنيوية)،منشأة المعارف بالاسكندرية ،دط،دس.

24) سلدن رامان: النظرية الادبية المعاصرة، ترجمة جابر عصفور، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، 1998م.

25) السّمري ابراهيم عبد العزيز: اتجاهات النقد الأدبي العربي (في القرن العشرين)،دار الآفاق العربية ،القاهرة،مصر،ط1، 2011م.

26) شعرية القصيدة قصيدة القراءة (تحليل مركب لقصيدة اشجان يمانية) ، دار النتخب العربي ، بيروت ، لبنان، ط1، 1994م.

27) الشّنطي محمد عصام: الجمالية والواقعية في نقدنا الادبي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت،لبنان،ط1، 1979م.

28) العاكوب علي عيسى: التأليف النقدي عند العرب ،دار الفكر بدمشق سوريا ،ط1، 1997م.

29) العجيمي محمد النّاصر : النقد العربي الحديث ومدارس النقد الغربية،دار محمد علي الحامي للنشر والتوزيع،صفاقس ،تونس،ط1، 1998م.

30) العرابي لخضر :المدارس النقدية المعاصرة ،دار الغرب للنشر والتوزيع ،وهران ،الجزائر،دط ، 2007م.

31) عصفور جابر: قراءة التراث النقدي ، مؤسسة عيبال للدراسات والنشر ، نيقوسيا ،ط1، 1991م.

32) عوض يوسف نور :نظرية النقد الادبي ، دار الأمين ، القاهرة ، مصر،ط1، 1994م.

33) عيلان عمار : النقد العربي الجديد(مقاربة في نقد النقد) ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1، 2010م.

34) الغذّامي عبد الله محمد : نقد ثقافي أم نقد أدبي؟، دار الفكر،دمشق ،سوريا ،2004م.

35) فاخوري رياض: ليستقظ الاساتذة ، دار الطليعة، بيروت ، لبنان، ط1، 1978م.

36) فضل صلاح: مناهج النقد المعاصر ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، مصر، دس.

37) فضل صلاح: في النقد الادبي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سوريا ، 2007م.

38) فن المقامات في الادب العربي ، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب ، تونس، الجزائر ، ط2 ، 1988م.

39) القيرواني ابن رشيق :العمدة في محاسن الشعر ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر،بيروت ،لبنان،ط1، 2001م.

40) الكعبي ضيّاء :السرد العربي القديم (الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط1، 2005م.

41) ماضي شكري عوض: من اشكاليات النقد العربي الجديد ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1997م.

42) مائة قضية ...وقضية ، دار هومة ، الجزائر ، 2012م.

43) المتنبي أبو الطيب : ديوان، دار صادر ،بيروت،لبنان ،ط1، 200م.

44) مرتاض عبد الملك: في نظرية النقد، دار هومة ، للنشر والتوزيع، الجزائر ، 2005م.

45) مرعي فؤاد: النقد الادبي الحديث ، منشورات كلية الآداب ، جامعة حلب ، سوريا ، 1981م.

46) المسدّي عبد السّلام : الأدب وخطاب النقد، دار الكتاب ،لبنان ،ط1، 2004م.

47) النص الادبي من اين؟ والى اين؟ ديوان المطبعات الجامعية ، الجزائر ، 1983م.

48) نظام الخطاب القرآني، دار هومة للنشر، الجزائر، 2005م.

49) نظرية النص الادبي ، دار هومة، الجزائر ، 2007م.

50) النقد الجزائري من اللاّنسونية الى الألسنية ، اصدارات رابطة ابداع الجزائر ، 2002م.

51) هلال غنيمي : النقد الادبي الحديث ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1973م.

52) هويدي صالح : النقد الأدبي الحديث ، قضاياه ومناهجه، (كتاب الكتروني).www.kotobarabia.com

53) وغلسي يوسف : الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض، اصدارات رابطة ابداع الثقافية، الجزائر ، 2002م.

الدوريات

1) مجلة الأثر ، اشغال الملتقى الدولي الثالث في تحليل الخطاب ...، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة ، الجزائر ، العدد11، 2007م.

2) مجلة الاقلام ، وزارة الثقافة ، بغداد ، العدد 12 ، 1978م.

3) مجلة السّرديات ،مخبر السرد العربي ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، الجزائر ، العدد2، 2008م.

الرسائل الجامعية :

1) ساري محمد: النقد الادبي ، مناهجه وتطبيقاته عند الدكتور محمد مصايف، مخطوط ماجستير ، اشراف واسيني الأعرج ، جامعة الجزائر ، 1993م.

2) غانم رشيدة : اللغة الواصفة عند عبد الملك مرتاض، مخطوط ماجستير، اشراف مصطفى دراوش ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو ، الجزائر ، 2012م.

فهرس الموضوعات

مقدمة ــ أ-ج

التمهيد :واقع وأزمة النقد العربي المعاصر ــــــــــــــــ 11-05

الفصل الأول :المرجعيات النقدية للباحث "عبد الملك مرتاض" ــــــــ

مدخل ــ 14-13

اولا:المرجعيات التراثية ــــــــــــــــــــــــــــ

أ- القرآن الكريم ــــــــــــــــــــــــــــ 16-15

ب-الموروث الأدبي والفلكلوري ــــــــــــــــــ 20-17

ج- النقاد والبلاغيين العرب القدامى ــــــــــــــ 23-21

ثانيا:المرجعيات الحداثية ــــــــــــــــــــــــــ 28-24

ثالثا: التركيب المنهجي وإشكالية "اللامنهج "عند مرتاض ـــــــــ 28

أ- المنهج النقدي ــــــــــــــــــــــــــــ 31-29

ب- التركيب المنهجي ــــــــــــــــــــــــ 39-32

ج- إشكالية اللامنهج ــــــــــــــــــــــــ 42-39

الفصل الثاني قراءة في كتاب "في نظرية النقد" لعبد الملك مرتاض ـــــ

أولا: لمحة عن الكتاب ــــــــــــــــــــــــــ 44-43

ثانيا- النقد من منظور"عبد الملك مرتاض" ــــــــــــــ 68-45

ثالثا: التوفيق بين التراث والحداثة في النقد عند "مرتاض" ـــــــ 75-69

رابعا- نقد النقد عند" مرتاض" ـــــــــــــــــــــ 89-75

خاتمة ـــ 94-91

الملحق ـــ 98-96

قائمة المصادر والمراجع ــــــــــــــــــــــــ 104-100

الملخص ــ

ملخـــــــــــص

تعالج هذه الدراسة موضوع النقد و"نقد النقد" من منظور الناقد الجزائري "عبد الملك مرتاض" ، من خلال مدونته الموسومة ب : " نظرية النقد " . فهو يرى النقد كتابة إبداعية ثانية ، نابعة عن الكتابة الأولى وهي الإبداع الأدبي ...، كما يتابع "مرتاض" في كتابه أهمّ المدارس النقدية المعاصرة وخلفياتها الفلسفية والمعرفية وكذا نظرياتها ومناهجها ، رابطا إياها بتراث النقد العربي القديم ، داعيا الى توظيفه وقراءته . كما تناول موضوع "نقد النقد" ودوره في تطور و حركية النقد .

Résumé

Cette recherche traite le phénomène de la critique et la méta-critique de point de vue du critique Algérien ABDUL MALIK Mortad ,d'après son livre qui est intitulé « De la théorie de la critique » .il voit que la critique est une deuxième écriture qui suive la première écriture (le texte littéraire cible). Aussi .il a abordé les théories et les méthodes de relations critiques les plus important ,la patrimoine arabe ancien ,appelants a relire ce hérité lecture consciente de profiter de lui .finalement ,il a traite -le sujet de la méta –critique ,cette dernière est pour développer la critique.

تم بحمد الله